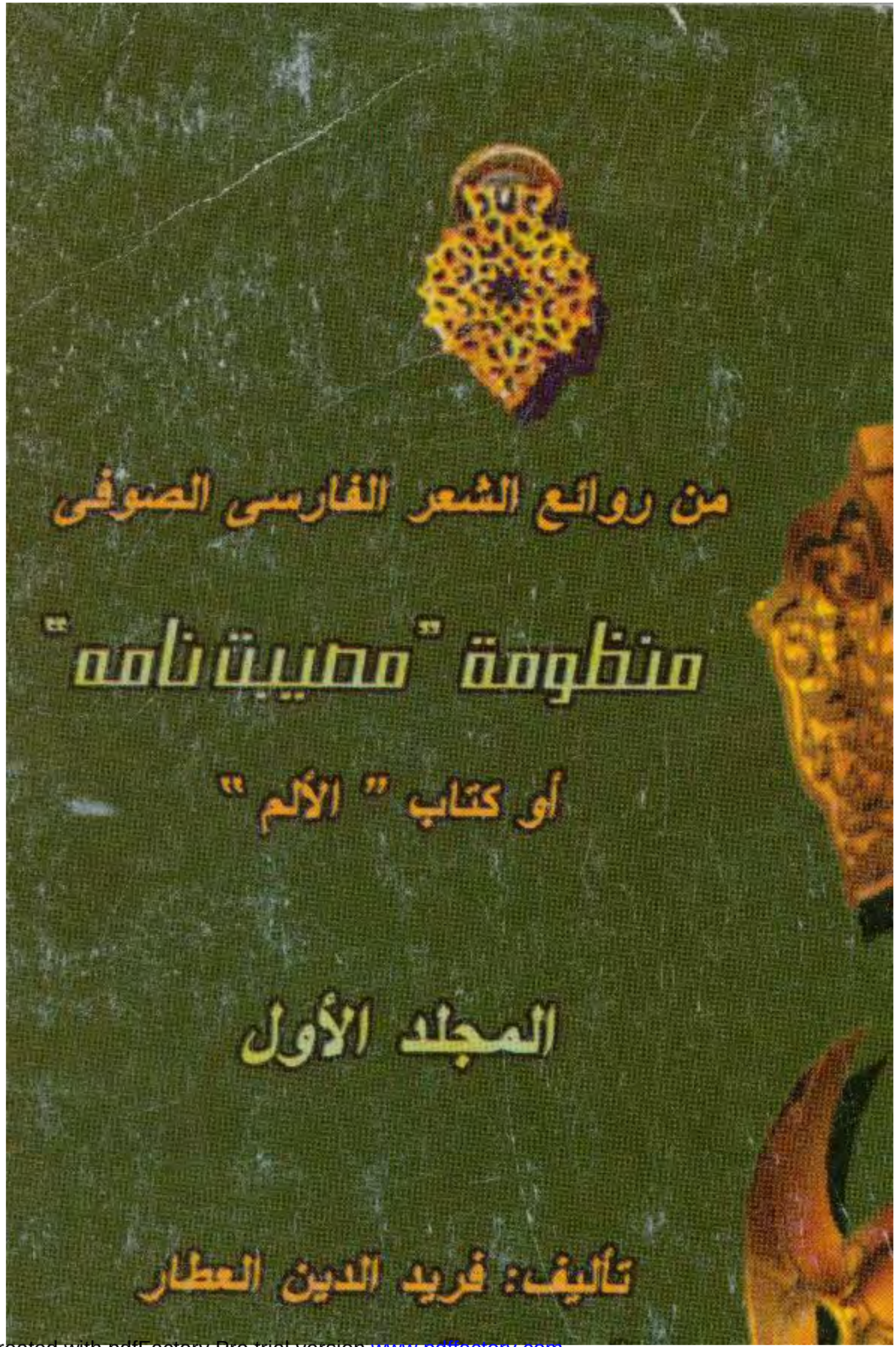

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٧٧٦
- منظومة «مصيبت نامه » أو كتاب « الألم » - (المجلد الأول)
- فريد الدين العطار
- محمد محمد يونس
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة منظومة
« مصيبت نامه »
للشاعر الفارسى الكبير فريد الدين العطار

حقوق الترجمة والنشر محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
Tel. : 7352396 **Fax :** 7358084.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى توحيد البارى عزَّ اسمه (ص ١ - ١٤)

الحمد الطاهر من الروح الطاهرة لذلك الطاهر، الذى وهب حفنة تراب[١] الخلافة، واهب العقل الذى يكون ترابه "آدم"، الجزء والكل برهان لذاته الطاهرة، فيُشرق شمسَ الروح، ويجعلها هكذا خفيةً فى طين آدم، وحينما يأتى بطين آدم إلى الصحراء يظهره كله على هيئة أعجوبة، وعندما يضع روحًا فى داخل نطفة، فإنه يضع شمسًا فى حبة خردل، ويجعل مهبط روح القدس له قلبًا، ويشكل له جسدًا على هيئة " دحية الكلبى "[٢] ، ويجعل له عينًا من قلامة ظفر، ويجعل بحر قلبه بين إصبعيه[٣]، وحينما يجعل الجبل مثل ظلِّه فإنه

(١) أى الجسد البشرى وهذه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [سورة البقرة آية ٣٠] .

(٢) روح القدس فى البيت إشارة إلى جبريل عليه السلام ، أما "دحية الكلبى" فى البيت إشارة إلى الإنسان المخلوق عامة ، و "دحية الكلبى" هذا هو الذى كان "جبريل" عليه السلام يأتى إلى النبى ﷺ على صورته وكان من أجمل الناس شكلا (مختار الصحاح ص ٢٠٠ القاهرة ١٩٥٣م) .

(٣) إشارة إلى الحديث " قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء لأثبته وإن شاء لأزاغه (الجامع الصغير ص ٨٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يجعل البحر مهداً لحركته[٤]، ويحضر له اللبن من إصبع " الخليل" ، ويحضر له "عيسى" بواسطة "جبريل"، ويجعل طفله فى المهد نبيًا، ويجعله أكثر نضجًا عن كل شيوخه[٥] ، ويجعل الجبل فى عنق "عوج"[٦] ويلقى الاضطراب فى "يأجوج ومأجوج"، ويقرُّ له الرضاعة، ويحضر له اللبن من بين فرث ودم[٧] ، ويجعل التراب مهداً لبنى آدم[٨] ، ويجعل الرياح حملاً لمريم[٩]، ويجعل الموج الدافق جسراً له[١٠] ، ويجعل النار المحرقة طينًا بارداً له[١١] ، ويجعل الذئب شاهداً على

(٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ [سورة الأعراف آية ١٧١] .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ [سورة مريم آية ٢٩] .

(٦) هوعوج بن عنق ، إنسان عجيب الخلقة كان معاصراً لموسى عليه السلام وقتل على يديه لأنه أراد منع بنى إسرائيل من العبور أثناء رحيلهم بأن ألقى موسى عصاة تبلغ عشرة أذرع إلى ارتفاع عشرة أذرع وضرب بها كعب عوج هذا (تراجم أعلام مصيبت نامه ص ٢٢٨) .

(٧) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ [سورة النحل آية ٦٦] .

(٨) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ﴾ [سورة النبأ آية ٦] .

(٩) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [سورة مريم آيه ١٧] .

(١٠) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [سورة الشعراء آية ٦٣] .

(١١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة الأنبياء آية ٦٩] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"قميص" يوسف " ومن رائحة القميص يرتد بصيراً[١٢]، ويهب العبد سلطة المَلك ، ويلقى هذا فى غياهب الجب ويهب هذا منزلةً وجاهًا، ويضرب الحجر بالعصا فينبحس ماء زمزم[١٣] ، ويجعل "آدم" عاصيًا لأجل حبة شعير[١٤]، ويخرج الميت من الحى ، ويحيى الصحراء بعد موتها[١٥] ، ويزاوج بين الثلج والنار معًا حتى يتم الطهر من كليهما، ويأتى بهرةً من عطسة أسد، ويأتى بثور من أسفل هرةً ، ويجعل الكافور رداءً للعسل، ويجعل هذا الرداء حينذاك زنبوراً ، ويجعل القمر طابع حسن على الوجنة ، ويضع الثور على ظهر حوت، ويذيب الحجر ماء من خشيته، ويجعل الماء زئبقًا من خوفه ، ويضع فى نملة آلاف أسراره ، ويملأ قلبها بالاضطراب من شوقه ، تارة يأخذ مَلكًا ويصلبه ، وأخرى يحطم جناحه ويجتث قلبه ، ويصنع جناحًا

(١٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ [سورة يوسف آية ٩٣] .

(١٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [سورة البقرة آية ٦٠] .

(١٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [سورة طه آية ١٢١] .

(١٥) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [سورة الأنعام آية ٩٥] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لـ "جعفـر الطيار"[١٦]، ويجعل "عليًـا" بابًا لمدينة العلم[١٧] تارة يخلق زوجةً من رجل لا زوجة له[١٨]، وأخرى يخلق رجـلاً من امرأة لا زوج لهـا[١٩]، تارة يأتى بتـغـريد من طائر، وأخـرى يأتى بـالمَنِّ من النحل، فيهب الأولى من بين الحجر والدود ويهب من فم الثانى الكرم والرزق، ويجعـل الدخان أنجمًـا بلا نار، ويأتى بحـجر النار ويجـعله هشيـمًا، يستـمد الحجـرُ الباردُ حرارتَه من نار القلب، ويسـتمد الغـصنُ اليابس نعومتَه من الفاكهة الندية، تارة يأتى بالأشهب من الأدهم[٢٠]، وأخرى يأتى بالليل من النهار، ويضع الزنـبار فى شراب الشمع ويجـمع القمر بالشمس[٢١]، ويجعل بعوضة تشق الصـف وتواجه من بحجم الفيل، حتى أغارت على رأس "يحيى"[٢٢]، ثم أشارت إلى بقائه حيًا، ويضع

(١٦) هو : جعـفر بن أبى طالب ابن عم النبى و أخـو علىّ بن أبى طالب وهو من كبار صـحابة الرسول ولقـد تولى إمارة الجـيش فى فتح بيت المقـدس وقطعت يداه الاثنتان وهـو يحمل راية الإسلام . وبعد استشهاده قال الرسـول إن الله عوضه بجناحين من الياقـوت الأحمر يطير بهما إلى الجنة ولهذا سمى بجعـفر الطيار (تراجم أعلام مصيبت نامه ص ٤٠٣) .

(١٧) إشارة إلى الحديث [redacted] " أنا مدينة العلم وعلىّ بابها" وهناك حديث شريف رواه الترمذى " أنا دار الحكمة وعلىّ بابها" .

(١٨) يقصد حواء من آدم عليه السلام .

(١٩) يقصد عيسى عليه السلام من مريم .

(٢٠) الأشهب هو النهار والأدهم هو الليل .

(٢١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ (سورة القيامة آية ٩) .

(٢٢) يحيى : هو يحيى بن زكريا قتله بنو اسرائـيل بأمر حاكمهم "هيرودس" لأنه لم يوافق على أن يتزوج الحاكم من بنت أخـيه لأن ذلك محرم وبعد أن قتـل يحـيى وضعت رأسه فى =

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المُلك فى يد أحد الرعاة، ويجعل له المنَّة على العالم، ويحبس الشيطان فى خاتم، ويحوِّل أحد الملائكة للناس " إبليس " ، ويجعله فى الطاعة آلاف الأعوام ، ويطوق عنقه بطوق اللعنة[٢٣] ، وما إن أعطى ذات "يونس" سرَّ الحوت حتى جعله طعامًا له[٢٤] ، وجعل الماء ترابا تحت أقدام "عيسى" ، وبثَّ فى هذا التراب من نفسه الروح الطاهرة ، وهكذا أظهر ذلك الغيب الخفى ، وأظهر اليد البيضاء من هذا الجيب[٢٥] ، تارة قد رفع ترابين إلى أعلى الطريق ، وأخرى قد هبط بالقدح القدسى إلى قاع الجُب، فسعادة الروحانين من حُبِّه وبكاء الملائكة من خشيته ، فيهب قطرة درًّا مكنونًا ، ويعطى نقطةً بُعْدَ الفلك ، ويعقد القلب بالدم ، ويأتى أيضا بخليفة من حفنة تراب[٢٦] ، وقيَّد العقل الجامح بالشرع ، وأحيا الجسد بالروح والروح بالإيمان ، ومدَّ بساط الفلك أمام بلاطه

= طست وقدمه الحاكم إلى الفتاة التى يريد أن يقترن بها (حامد عبد القادر : قصص الأنبياء ص ١٠٦) .

(٢٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [سورة ص آية ٧٧ ، ٧٨] .

(٢٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ وقوله : ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [سورة الصافات آية ١٣٩ ، ١٤٢] .

(٢٥) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية ١٠٨] .

(٢٦) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [سورة البقرة آية ٣٠] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وخلق قرص الشمس وكأس القمر ، وحينما أنشأ الموج فى ماء البحر ، فتح لكليهما من الأمد الصيرورة أيضًا، وأشعل من الشجر الأخضر شمعة[٢٧] حتى احترق " كليمه "[٢٨] مثل الفراشة ، وأضرم نارًا فى يد العدو حتى أخذ "خليله " طبع "السمندر"[٢٩] ، [٣٠] ، وجعل الكلب فى الكهف كلب الروم[٣١]، وأذاب الحديد والفولاذ مثل الشمع[٣٢]، وأحضر حصان الفلك إلى الحقِّ، أتى به فى طريقه خانعًا خاشعًا ، وجمع غبار الأرض مقلوبًا، وخضَّب طرف ثوبه بالدم من الشفق، والطريق الذى كان الفلك يسير فيه، كان يسير فيه مقلوبًا فى التراب ومخضبًا بالدم فى حزنه، ولقد جعل الحجر فيه يئن والطير أيضًا، وأتى بالطير إليه ومن حصاه هيأ البَرد،وبدأ طائره الثمل حرب

(٢٧) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [سورة يس آية ٨٠].

(٢٨) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّى أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة القصص آية ٣٠] .

(٢٩) السمندر اسم دابة لا تتأثر بالنار وعُرِّبت لفظًا ومعنى.

(٣٠) إشارة الى قوله تعالى ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الانبياء آيه ٦٩] .

(٣١) شارة إلى قوله تعالى ﴿ كَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ [سورة الكهف آية ١٨] .

(٣٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ [سورة سبأ آية ١٠] .

(٣٣) إشارة إلى قصة فيل أبرهة الذى جاء ليهدم الكعبة وإرسال الله تعالى إليه الطير الأبابيل لترميه بحجارة من سجيل كما فى سورة الفيل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الفيل، وألقى بحصاه وسط الكعبة[٣٣]، وأخذ النملُ طريقه من كمر محكم، لا جرم أن تمنطق مع "سليمان"[٣٤] فى الـ"كستى"[٣٥]، وحينما أوحى إلى النحل معلمًا ومرشدًا، لشدِّ ما جعل الحلوى على هيئة الشمع[٣٦]، وصار لعنكبوته خيوط تشبه الشرك، فوقع مثل ذلك الطائر فى شركه، وبعد كلمة من كلمتين لهذا الطيب الذكر، فظهر فى الثالثة بعد ذلك الأركان الأربعة[٣٧]، وجعل الحواس الخمس أميرًا على الجهات الست وجعل السبعة فى الدورة الثامنة[٣٨]، وصارت الأفلاك التسعة مثل العشرة واحدًا على بابه، وجاء مكانها لديه أعلى من كلا العالمين، وحينما جعل الأمانة على كاهليه[٣٩] فى الثامنة،

(٣٤) إشارة إلى سورة النمل وموقف سليمان مع النمل.

(٣٥) الكستى أو الكشتى فى الكتب البهلوية هو حزام خاص بالزرادشتيين ولا يعد المرؤ تابعا لهم إلا بالتنمطق به (د. محمد معين: مزد يسنا وتأثير آن درادبيات فارسى ص ٢٤٣-٢٤٥ جاب دانشكاه١٣٢٦٥ هـ. ش).

(٣٦) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [سورة النحل آية ٦٨].

(٣٧) أى بعد قوله تعالى ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾، تظهر الدنيا بأركانها الأربعة : الماء والهواء والتراب والنار.

(٣٨) السبع هى السموات السبع والأراضين السبعة والدورة الثامنة أى الدورة التالية للدورة السابعة.

(٣٩) أى الإنسان الذى حمل الأمانة أى الخلافة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لم يعطه الأربعة ولا أعطى الأربعة له[٤٠]، وقال للإنسان فى ماء أجاج وزاوية : أقبلْ ؛ فالأفضل أن تكون الدنيا لك زادًا ومتاعًا، وجعل له فى الظلمات ماء الحياة، ووجهه إليه بسرعة ولطف، وجعله سلطانًا على الأَسْوَد (الليل) وعلى الأبيض (النهار) ، وجعل له فى الحلكة ضياء كالقمر ، وأجلسه كالبدر على محراب الفلك ، وأجلس الخلق فى عهده وميثاقه، تارة يجعل المصباح اسمًا له وتارة العين، وجعل له فى المصباح زيت اللوز، وألبسه فى الخلافة الملابس السوداء، وزيّن بلاطه بالديباج الأبيض ، وتشريفًا له أقام ذلك الحاجبين المعقوفين، وجعلهما دائمًا رهن إشارته، وأقام له فى باطنه مخدعًا يسكن إليه فى قلبه وقت الغبار ، وجعل له فى ظاهره حاجبين نادرين حتى لايغار الجنُّ على غرفته، وجعل صفًا من الأهداب على بابه حتى يدفع هذا الصفُّ أىَّ شخص عنه، ومع مكانته ؛ فقد جعل له الحبَّ مثل "يوسف"، وأعطاه الطريق إلى السموات السبع ،وجعل له متعة النظر كلَّ لحظة، ونثر له على الطبق نقد الجوهر، ووهب لإنسان عينه السواد وقد أعطاه له نقدًا على طبق؛ لأنه أعطاه العين، وجعل الوهم جاسوسًا له فى طريقه، حتى يهيئ له المحسوسات من غير المحسوسات عدة مرات ، وأحضر له الخيال فى خزانته حتى يتخيل كلَّ شىء حسبما يريد، وشرَّفه بفطنة الحفظ حتى

(٤٠) أى لم يجعله حيوانًا يمشى على أربع تكريمًا له.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يحافظ به على الأسرار،وأودع فى قلبه كنزاً من المعرفة، ووهب له من الروح كأس"جمشيد"[٤١] وصفة "عيسى"، وحينما صدَّره المَلكُ على كلِّ أمر ، يسَّر له تصريف الأمور، وهيئ له فى داخله فراشًا، وجعل له النوم قرينًا حسنًا، وحينما يكون عمله فى النوم هو عشق الملّك فإنه يجعل من أهدابه رماحًا نافذة، وفتح صدفتيه[٤٢]، وجعل فيها اثنتين وثلاثين حبة لؤلؤ متراصة[٤٣]، وفتح تسعة وعشرين نبعا بليغا[٤٤]، وجعلها رسناً للاثنين والثلاثين ، وأظهر من الصدف الذى يشبه النغمة كلمة"لا" حتى ينطق فمه بقول " إلا الله"، وصار تمساح "لا" معظما أيها العزيز ، ذلك لأنه منحه القمَّة والسفح أيضا مثل جبل قاف، فأظهر لجبل قاف عنقاءً مدلَّلةً حتى يبسط سيمرغ[٤٥] المعنى جناحه ، وأظهر للعين نونا فيها حتى يظهر للصدف نبع جميل ، وعقد

(٤١) جمشيد هو: جم من ملوك البيشداديين العظماء ويسميه العرب (منوشلح) ويقال إنه صعد على ربوة عالية بآذربيجان ووضع عليها عرشا مرصَّعا بالذهب ووضع على رأسه تاجا من الذهب وجلس قبالة الشمس التى أرسلت أشعتها على العرش والتاج فظهر شعاع فى غاية اللمعان اسمه (شيد) فصار الملك يسمى (جمشيد) .

(٤٢) أى شفتيه أو فكيه .

(٤٣) أى أسنانه البيضاء مثل اللؤلؤ .

(٤٤) يقصد بها اللغة بأبجديتها ذات التسعة وعشرين حرفا والتى تنسال من فمه ومن بين أسنانه .

(٤٥) السيمرغ طائر وهمى فى الأدب الفارسى مثل العنقاء فى أدبنا العربى، وقد اتخذه " العطار " فى " منطق الطير" رمزًا للحق تعالى وللسالك الذى يسعى للفناء فيه والبقاء به.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" طس "[٤٦] على وسط نملة، وأعطى "يس"[٤٧] لأهل سرِّه، وحينما تُحْجَبُ الصَّدَفُ بكثرة يكون الحجاب فرضًا للمحجوب، ثم يفتح هنا اثنى عشر حجابًا حتى لا يخرج أحد عن لحن الـ " پرده" يكفيك أنك متلائم لـ " پردهء عشاق" حتى يطبق نغمها الآفاق، وحينما رأى الـ " مخالف" استعادها منه حتى أقام الـ"مخالف" بعد لحن الـ"پرده"، عزف الأولى على الـ" النهاوند" والأخرى قيدها بالـ "بند"، وبعد صوت حاد وصيحة مدوية عزف على الـ " حسينى" بصوت عذب ، وفى النهاية حلَّت لوعةُ الفراق من الـ" سپاهان" ومن الـ"عراق"[٤٨]، حتى جعل لسانًا ذربًا فى الفم ، وجعل عقلاً لكل من أنكر، وبدون هذا السيف الذى تعرفه؛ فالأفضل له الأضطراب والحدة والمرارة والحلوى والمزازة، ولو يجعل الحامض لاذعًا ويستعيده بقوة فلن يجعل مرارته بين الحلو والمالح، ويظهر تعلقه بنثر درّ الجوهر، ويظهر سرَّ حدته مع بداية حدَّته، ولو كان النطق يمثل صعوبة له ومشقة فإنه يجيد إخراجه بانسيابية ونعومة مثل السيف، وحينما انفرج الصدف ودار اللسان ظهر الجوهر المنثور بلا غفلة، إذا لم يحصد طائر " التذرو" السكر فقلْ :

(٤٦) إشارة إلى سورة النمل التى تبدأ بـ " طس" .

(٤٧) إشارة إلى سورة يس التى تبدأ بـ "يس" .

(٤٨) ألفاظ الـ: پرده ، پرده عشاق، مخالف ، نهاوند، حسينى، سپاهان، عراق . كلها أسماء لنغمات ومقامات وآلات موسيقية وردت فى هذه الأبيات.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لا تفعلْ ، وإذا لم يَر الأعمى الجوهر فقلْ له : لا تبصرْ، يا مَنْ صار كلا العالمين فيك ظاهراً ولا يبدو لها ظهور من الروح والروح تظهر منك، يا من لا يظهر باطن لروحه ولا يبطن ظاهر لروحه، فأنت فيك الظاهر والباطن فلا ظاهرٌ ولا باطنٌ بل هما أنت، حينما أتيت بذاتك المقدسة فلم تذهب باطنًا ولم تأت ظاهراً ، كلا العالمين قدرتك التى لاشبيه لها ولو كان ظاهرك شيئًا فهو أنت، حينما تكون للعالم الأول والآخر والجزء والكل والباطن والظاهر،فأنت الكل والآخرون لاشىء؛ فأنت الموجود ولا يوجد شىء أيضًا، يامن اختفت طلعتك فى الجسم والروح وغاب العقل والفكر فى شأنك، يكون العقل والروح والقلب محدوداً لديك؟ أنَّى للمحدود أن يصل فى معبوده ؟ يامَنْ يكون الوجود بعد طلعتك، وحينما تكون أنت الوجود فكيف يكون لأحد وجود - قبلك-؟ فأنت واهب العقل للعقلاء وأنت رب الأرباب ، فى البداية تُلقى الجميع تحت التراب ثم فى النهاية دائمًا تصلح شأنهم،أراك على باب القضاء من الأرض حتى السماء وفى الوسط من الجبال حتى اليابس، حينما لم يجد العرش شمة منك فى أى مكان صار للعرش كرسى تحت أقدامه، وصار الكرسى محواً منه من كثرة الطلب وتحتم أولاً ثبات العرش فى الأصل، وحينما صار للوح بدونك روح مفعمة بالحرقة، وصار اليوم الأول مع بداية اللوح ، حتى شق القلم من آلائك، وصار مثل القلم فى الخط بسبب عشقك، وضرب الفلكُ السماءَ من

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شوق هذا، ولم يَسعِ الأرضَ فى كلّ وجه، وتدور الأرض لأجلك كل لحظة وترفع الأكفّ إلى السماء تضرعًا، وصارت الشمس كلبًا فى حيّك من الخجل، وجاءت ساخنة بسبب اللون والاستدارة، والقمر الذى كان فى أوله مثل النعل فى النار، يكون فى النار مسروراً مادام هذا النعل منك، ونفس الصبح يضحك على تذكرك فيحيى الخلق من نفسه مثل "عيسى"، والنهار يتجدد منك بروح أخرى، ذلك لأنك كل يوم فى شأن آخر(٤٩)، والليل الموحش الذى له كل ليلة ما يشبه رهبتك له أسنان بيضاء ضاحكة من كواكبه، وللسحاب بدونك قلب مفعم بالبرق غروراً وعلى صفحته آلاف من قطرات الدمع، والرعد أحضر التسبيح(٥٠) مضطربًا وأحضر برقه الماء هائجًا ، وحينما كان للبرق بدونك ألم صاف، لا جرم طالما أن كان الآن سخيًا، والنار تحمل ماءها من حرقتك طالما يموت الفكر صاديًا للماء مثل النار ، والرياح تأتى ذليلة مسحوقة وتدور بذراتها حول حيّك صفر اليدين، وحينما أضرم شوقك النار فى السحاب سال ماء وجهه واحترق مثل النار، والرياح الباردة لأجلك وضعت تراب الطريق على رأسها، وأسلمت نفسها للرياح من قهرك، والجبلُ تخضب قلبه دمًا من تقريرك، وسال منه الماء من اضطرابك،والبحر حينما ذهب عنه الماء بقى صادى الشفة

(٤٩) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن آية ٢٩] .

(٥٠) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ [سورة الرعد آية ١٣] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فدفع السفينة إلى اليابسة عن شوقك، والورود كلها الزاهية النقية تناثرت على التراب من شوقك،والبرعومة حينما تشعبت من التفتح صار طفلها اليوم شيخًا من اشتياقك، فتضع كأسًا ذهبيًا على يد النرجس وتهب أمير المجلس الفضة، وتُمنطقَ الجبلَ بزهور الشقائق حتى تخضبت عمامته بدم الكبد، وحينما نبت الياسمين على أرضك فقد منح الخوذات الأربع لون السماء، وصار البنفسج درويش حيّك، ونما فى سكْرك وعشقك، والسوسن حين يلهج بشكرك بعشرة ألسنة، فإنه صار عبدًا طليقًا إلى السموات السبع، والبرعومة كانت للوردة الحمراء نصلاً ويا للعجب فأعطيتَها نصلاً للوردة الحمراء لهذا السبب، تأملْ كتاب الورد فمن يقرأه بحق، فمع كل ورقة منه يملأ حَمْدُك فمَه ذهبًا، مهما أتحدث فلستَ ذلك الذى أتحدث عنه، ومهما أبحث فلستَ ذلك الذى أبحث عنه، فإذا كنتُ لا أعرف ففيم حديثى عنك ؟ وإذا كنتُ لا أظفر بشىء ففيم بحثى عنك؟ للكل ذاتٌ واحدة أما الصفات فهى عند الجميع مختلفة فى الكلام والعبارة(٥١) ، للكل ذات واحدة وأنا لستُ عالمًا، مع أن الطريق واحد فانا لستُ بصيرًا، طريقك

(٥١) هنا إشارة واضحة إلى فكرة وحدة الوجود، مع أن "العطار" فى "مصيبت نامه " ممن يؤمنون "بوحدة الشهود"،لكن ثقافة العصر ربما تكون قد تغلبت عليه هنا؛ إذ كان لها فى عصره انتشار طاغ. ويشير محقق المنظومة فى حاشيته (١) ص٩ إلى أن هذا المعنى موجود فى البيت التالى الذى لم أعثر عليه :

عباراتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذا ليس له نهاية فى كل زمان، والخلق يحتارون فيه كل ساعة، الذهابُ فى منزل هذا الطريق أبدىٌ، والمضى يكون فى دمع القلب الدموى كلية، من لم يعرف قصة القلب والروح ، كيف يستطيع أن يعلم، وكيف يقدر على أن يعرف ؟ كل من يقتفى أثر هذا السرّ المشكل،كيف يحمل روحا واحدة ولو كانت له مائة روح؟ فما الحيلة فى هذا التخضب بالدم؟ وكيف الخروج من وجودى؟ حينما لا أجد ثانية سرَّ الرسَن، أظل حائراً مثل الإبرة ثانية، ليس سوى الإسراع فى النكوص ذلك؛ لأن هذا الوجود هو العدم، والفلك يرغب فى أن يقتفى أثر هذا السر، فكيف يحمله إلى هذا الطريق حائراً؟ وأنت السلطان فى تصريف هذا، فكيف يتسنى لك صنع الحيرة؟ فلماذا هذه الحيرة الكثيرة الآن؟ فإن لم تكن تعلمها، فاعلمْها من السماء، فسواء الفلك أو الشمس والقمر أو النجوم، فهى الأكثر حيرة كل ليل وكل نهار، فليس ثمة طريق فيك إلا بالحيرة، وليس ثمة معرفة لكنهك أيها الحبيب . الوصل للحبيب الذى ليس له نظير ليس يسيراً، فإن كنتَ آملاً فى الوصول فأمتْ نفسك، لو تسنى لك الوصال بلا ألم ، فكنْ صادقًا وابتعدْ عن الخيال، صرْ فى طريق العشق بلا علائق، صرْ تراب طريق وكذا ناراً متوهجة، أنت مثل الطين اللازب[٥٢] وقت العمل فلا جرم

(٥٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [سورة الصافات آية (١١)] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أن يكون لك تعلق بلا حصر، يلزمك تعلم العمل من النار وتمتلك مذهبًا عجيبًا فى الاحتراق، حينما تحترق يَمْثل أمامك كلّ ماتريد، وتترك الكل وتصير معه، وترفع شيطان القلب بالفضة والذهب، وتترك الفضة والذهب كله بك، ذلك لأن الشيطان من النار وأنت من التراب، أنت تبكى وهو يحرق كلّ طاهر، فإذا ما كانت الدنيا الدنية إقطاعَه فالنار ليس لها بسببه أىّ صديق، وأنت لا ترى ذلك لأن إبليس اللعين لم يتجه بوجهه من النار على الأرض، وقال : لقد انصهرتُ من النار ولن أسجدَ، ذلك لأننى منصهرٌ، وما دام الحقُّ تعالى قد خلق النار معظَّمةً، فكيف يتسنى لها أن تحنى الرأس بالسجود؟ وهكذا صار الأمر صعبا على النار من النار، ذلك لأنها تخشى النار المُحْرقة، الحياة سواء أكانت طيبة أم خبيثة هى الأرض والرياح والماء والنار، كيف يمكن بين اختلاف هذه الأربع وخصومتها أن تتصف بالوحدة ، تكمن حرارتك فى الغضب والشهوة، ويبوستك فى الكبرياء والنخوة، وتمتلك برودتك تجمدًا دائمًا، وتأتى لك رطوبتك بالرعونة دائمًا يحتجب كل الأربع عن بعضهم ويتصارعون فيما بينهم ليلاً ونهارًا، تارة يظفر هذا وتارة ذاك ، فكيف تمضى سواء بهذا أو بذاك؟ هذه الأعداء الأربعة فيما بينهم، فأنَّى يصيرون لك أصدقاء فقط؟ وأنت أيضًا فى خصومة مع الأعداء وتنتظر المحبة من العدو؟ إن تُرد أن تحفظ وجهك آمنًا فأدِرْ ظهرك لهؤلاء الأعداء، هكذا صار جسمك معتدلاً

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ومتصفًا أيضًا من اختلاف الأربع وخصومتهم، بأن توجب لروحك عشقا بالحرارة وذكراً برطب اللسان ونديِّه ، ويجب الزهد ليبوستك من التقوى والدين، ويلزمك آهة باردة من برد اليقين[٥٣] ، طالما توجد الحرارة والبرودة والرطوبة على هذا النمط، يكون لروحك الاعتدال وطيب أكثر، فكل من تصير روحه معتدلة هكذا، يصير حجر جسمه ياقوت قلب هكذا، ولو كان على غير هذا لكان عاراً؛ فالعار لا يكون ياقوتا ولو كان حجراً، فاجتهدْ أيها السالك من رعونتك حتى لا تصبح مثل "إبليس" اللعين، وتكون من الملائكة وتصير شيطانا، وتصبح "اهرمن"[٥٤] وتصير "هامان"[٥٥]، ويصنعون لك كلبا من مقام "البلعمى"[٥٦] أو يجعلون لك قلبًا مثل " برصيصا "[٥٧] أولا، فاجتهدْ يا مَنْ كنتَ ياقوتًا للملك حتى لا تصير فى الطريق مَسْخًا وملعونًا،

(٥٣) إشارة إلى إحدى مراتب المعرفة: برد اليقين وعين اليقين وحق اليقين.

(٥٤) أهرمن : هو إله الشر أو الظلام فيما يسمى بالديانة الزراد شتية وهو يظهر ليحاربه "أهورامازدا" إله الخير والنور ليتنصر عليه إشارة إلى انتصار الخير على الشر والنور على الظلام (ارجع إلى الملل والنحل للشهرستانى وقصة الأدب الفارسى لحامد عبد القادر) .

(٥٥) هامان : هو وزير فرعون موسى عليه السلام .

(٥٦) البلعمى هو : بلعم عورا رجل زاهد مستجاب الدعوة ظهر فى عهد موسى عليه السلام (تراجم أعلام مصيبت نامه ص ٣٩٨-٣٩٩).

(٥٧) برصيصا هو : أحد الأولياء، وكان قد كفربوسوسة الشيطان أبيض ابن إبليس ثم انخرط بعد ذلك فى العبادة الأبدية للخلاص من ورطته التى وقع فيها (تراجم اعلام مصيبت نامه ص ٣٩٧-٣٩٨) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فانهم يكثرون من القلب فى مثل هذا الطريق، ويصنعون من الذهب فضة ومن الورد شوكا، رأى السحرة العصا فى يد الأمين، قالوا آمنَّا برب العالمين[٥٨]، ثم إن اليهود العميان فى أمر النبوة قد سجدوا أمام العجل من سفاهتهم، ثم آمنوا من عصا الساحر، ثم كفروا بعد ذلك بالعجل ، وأنت هكذا تعلم أن هذا هو سوق العشق، وهو مثل سوق بغداد ودمشق، كفى لتراب «آدم» الحياة من الرياح، ولو كان هناك شئ آخر سوى هذا فهو الآن ، كيف يكون العشق اليوم وغدا ؟ كيف يكون الدين هنا وهناك؟، يارب، أى نظر طاهر لك أظهر «آدمَ» من التراب؟ وهيأ فيه هذه الأعجوبة كلها، وجعله تلميذا لأهل العرش على بابه، ذلك الذى كان ترابا، وبسبب وضاعة الفرش فقد رفعه من أسفل إلى فوق العرش مثل الجوهر، ورغب ذلك الذى هو فوق العرش فى التحول عنه ، فاختار الله ورغب عنه فى جناح جبريل، فلماذا القشرة للسماء والعرش والعنصر، وللتراب كله حقا اللّب الحسن؟ وبعد التراب يكون أكثر كمالا من القرب، لأن ذلك الذى كان أكثر هجران هو الأكثر وصولا، فكل قوس بعد كثرة شدّه يصير سهمه بلا شك الأكثر قربا ، طالما لم يذهب بعد إلى الطريق، فاحتلْ له، كيف يتسنى له القفز من الماء والعودة؟ فيكون التراب ذرة ذرة من

(٥٨) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف آية ١٢٠ ، ١٢١] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اشتياقه، وتحضر النار هلاكه من الروح، صارت جهنم له ذرة فى المخ والجسد، ولم يغتر بنفسه مثل الآخرين ، لا جرم أن اقترب فى الأمانة ، وكثر اقتراب كلا العالمين له، جاء لملكه السلطان والمالك، جاء الرجل[٥٩] وقد سجد له الملائكة، وجاء له جسم "آدم" وصورة الروح، وجاء له جوهر الروح وجسم الأحباب، لا جرم أن جاء لك روح الروح، جاء لك روح العالم بغير عالم، حينما تخرج تمامًا من الجسم والروح،فأنت لا تبقى والحق يبقى والسلام ، ويحملك الكنز فى قعر الروح ثملا، حتى لا يأتى أحد إلى هناك ليظفر به، لكن "إبليس" حينما لم يجد شمة روح، كفَّ يده ولم يظفر هناك بنفع ، هذا الذى يكونَ لبلاطه قفل بلا مفتاح وهو الذى يكون بحراً لا يبدو له قعر، فلو دلفتَ إلى هذا البحر لحظة واحدة ، سترى عالمًا من الحيرة مذيبًا للروح، ويهبك مائة عالمٍ من الحيرة للحظة واحدة ، ويهبك ذرة الحيرة بمائة حسرة، وما دمتَ لستَ بحراً فانظرْ إليه، وحينما تدور السفينة حول اليابسة، حطمْها . كيف تليق المعرفة لكل تافه ؟ يكفى " كلكم فى ذاته حمقى"، كل ما تعلمه يكون لك بلا شك، وإنْ لم تعلم ستكون واحداً من الأغبياء، كانت الهاء من الباطن والواو من الظاهر ، وكان معنى هو الأول والآخر[٦٠]، لو تشير بهاء "هو" وتعبرِّ بواوها، فأطحْ بالهاء

(٥٩) أى آدم عليه السلام.

(٦٠) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة الحديد آية٣] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وحـررْ الواو، وصِر عـبـدًا واذكـرْه بغيـر هاء وواو، حـينمـا يكون هو الظاهر فـإنه يكون كل شيء، وليس فى اليد شيء مـنه سوى التـخيل، طالمـا يكون هـو المنجم هكذا ويخـفى عليك، فـكيف تتـأتى لك رؤياه ومعرفتـه؟ فكل ما تراه ليس أكثر من خيال ، وكل مـا تعلمه ليس أكثر من محال.

١- الحكاية والتمثيل (ص ١٤ - ١٥)

كان ذلك المريد يقول أمـام الشيخ الشهير: إنَّ أسـماء الحقِّ تعالى تفوق الحـصر، فقال له الشـيخ: أيها المريد الشديد الـغفلة ، ليس للحقِّ فى الحقيقـة أى اسم؛ ذلك لأن كل ما تدعونه به ليس هو، وذلك الذى تحصيه وكل ما تعلمه ليس هو ، لو تجرعت بالقـــوة مـــائة بحر ، فَكُنْ ثابتًا مثـل جبل ، ولا تكنْ هائجًا مثل بحـر ، ولا تكنْ فى النهاية هكذا لأنك من جرعـة واحدة ستـسلك الطريق مثل السـهم بشجـاعة ، اترعْ الأبحرَ السبعة ثم متْ فى أنين من الرغبة إلى قطرة أخرى ، مُتْ صاديًا لهذا لو كنـت حيًا، كنْ تراب هذه الأعـتاب لو كنت عـبدًا، لا تلحسْ الكأس كثيرًا يا أبا العجب، وحينما تترعه اطلبْ كأسًا أخرى . كل من لا يصـير حـبلى من ألم هـذا ، يصيـر امـرأة ولا يكون رجلَ هذا، لأن يكون فى قلبك ذرة ألم الـله أفضل لك مـن نتاج كـلا العـالمين، الخلق مـن كل نوع يموتون فى طـــريقه ، حيـنئـــذ سيحملون خلـــود ذلك،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أنا مـقيم فى هذا الانسـحاق وفى هـذا الألم طالمـا أن هذا الألم نديمى فى الغد، أنا أحيا فى الدنيا كلّ لحظة أيضًا بهذا الألم وكفى به رفيقًا لى فى القبر، هذا الألم أنيسًا لى يوم القـيامة وليكن هذا الألم عملى وقت الحساب ، وسـواء أكان مصيرى الجنة أم السـعير فلتكن روحى يا أخى ثملة بهذا الألم، فكل من ليس لديه هذا الألم لا يُعـد رجلاً وليس ثمة علاج إن لم يكن لك هذا الألم.

أيها الخالق، أنا عـاجز حيِّك، هَوَيْتُ منكفئًا وقـلبى متعلق بك، يا مَنْ ألم الدنيـا رفـيـقى إليك وأرغب فى أن أقـتـرض منك ألمًا آخـر ، يحملنى الألم صوب حيّك وهـو ألمٌ عَذْب، وألمُك فى قعر الروح كنزٌ رائع، وأنت قـادر على فعـل ما تريد فـعله، وأنا حـائر جـدا كل لحظة بسـبب ألمك هذا ، إن لم يبق "للعطار" ألمك ، فـهـو لا يريد كفـرًا لأنه رجل دين، وألمك لازم لأن روحـه تحتـرق، والدنيـا تصهـر قدمـه على النار، ألمك لازم لقلبـى لكنه جـدير بك وليس لائقـا لى ، أرسلْ الآلام العديدة التى لديك لكـن أرسلْ القلب أيضًا أيها الحـبيب ، أين القلب الذى يحمل ألمًا بدون حبك؛ فليس ثمة رجل يحمل مثل هذا الألم.

أيهـا الخـالق ، طالمـا هذا الكلب[٦١] فى داخلى، فـطريق روحى صوبك غيـر آمن، فإما أن تلقى به فى عـمله بحكـم الشرع أو تطيح به

(٦١) أى النفس الأمارة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إلى الملاحة كلية ، كفى بى وجـود هذا الكلب المختال فى داخلى ، فإن لم أكنْ، فأنت موجـود وهذا كافٍ لى، وأنت لديك الكثيـر من أمثالى فى كل عـاقبـة، وأنا ليس لى سـواك حتى الأبد، حـينمـا تسحـبنى من الشاطئ إلى البـين ، فأنا فى البين على الشـاطئ بالاختيـار، وبقيتُ فى وسط الطريق وحـيـداً ، وبقـيتُ وحيـداً وحـائراً، يا مَنْ أكـون عنـدك وحيـداً، يكفينى وجودك مـعى، فـإذا ما كنتُ وحيـدا بلا رفيق فكفـى ذكرُك رفيقا لى حتى الأبد .

٢ - الحكاية والتمثيل (ص ١٥ - ١٩)

حـينمـا أشـرف " فـرعـون" على الغـرق فـى ذلك الوقت، مـلأ "جـبـريل" عليه السلام فـمَـه بالطين اللازب، وكـان قـد نطق نصف الشهادة فقط، ورحل عن العـالم قبل النصف الآخر، وجاء من "الكريم" هذا القول: أيها الروح الأمين، لو مكَّنتَ هذا اللعين من إتمام الشهادة، لمحوتُ عنه بكمال قدرتى ذنوب كفر أربعمائة عام.

أيها الخالق، لو كنتُ[٦٢] بحكم العادة سأنطق فى النهاية بالشهادة دفعة واحدة، فأنا أيضًا لى فرعون النفس، وليس لها شىء مطلقًا سوى الشهـادة، ولقد نطقتُ بها قـبل موتها ، نهـضتُ بها ثم اختـفت، فامحُ عنها الكبـر والفرعـونية ، وأنطلقْ سراح الروح منـها بمائة لون، الروح

(٦٢) الحديث للعطار نفسه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عندك مثل الصيد فلاتُلْقها فى شَصِّها[٦٣] الروح مطيعة لك فلا تسلمها لهذه النفس، حينما جاء دثار القلب أسود من الذنب مثل المنحرفين من الأزل وقبل الذنوب؛ فكيف أصيره أبيض بيدى؟ كيف أجعله غير يائس على بابك؟ أنت تقدر على جعل الشعر أسود مثل القار، فلا تجعله بلون اللّبن برائحة اللّعل، لو جاء لون الدّثار لدىّ أسود فاجعلْه مثل شعرى أبيض أيها الكريم، فلا تجعلنى أمام بابك يائسًا، فاجعلْ سوادى أبيض بسرِّ لطفك ،لقد سقطتُ فى طريق الخوف والأمل ، سقطتُ فى الأسود وفى الأبيض ، كل لحظة يصل إلىَّ فيها ذنب ، يصل إلىَّ مرافقًا له منك إنعام ، فأنا أحسن الصنيع فى هذه الدنيا وأيضًا لا أكثرت بها كثيرًا، لو يهيئون لى عالما ذرة ذرة، فكيف أغيب لحظة عن بلاطك؟ طالما تحدثتُ بحرارة فإن اللسان قد احترق، وقال إن العالم قد اشتعل علىَّ مثل النار.

يارب أطلقْ لسانى من اليد، أطلقْه وحررْنى من العالم، أعطنى ثمالةَ وَلَه التيقظ، أعطنى غفلة وجد التنبه، مادمتَ تُحضر، فصِلْ برفق، ومادمتُ تُحسن، فصِلْ بعفو. فلو تلوثتْ النفسُ فى عُرفى ودستورى، فطهرْها بقوسك من دنسى وفسادى ، لو صرتُ نارًا متوهجة فأنا بلا رماد، وما دمتُ صاديًا لجودك فلا تشعلْ روحى، وإذا ماكنتُ حالِكَ العقل من فرط جهلى، فلا تعاملنى بجهلى من فيض فضلك، وإذاً ما مزقتُ

(٦٣) أى النفس الفرعونية الأمارة بالسوء.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

سترى بيدى، فاحْمنى بسترك أيها العظيم ، وإذا أسلمنى الدهرُ إلى رياح الجهل، فاشملْنى بعفوك وتجاوزْ، وإذا ما حطمتُ الزجاج مثل طفل رضيع، فلا تمنعْ براءة الطفولة على مثلى بفضلك، وإذا ما حطمتُ الزجاج وانساب الزيت، فلا أعلم لى مهربًا منك سوى بابك، كلى تضرع فى شريانى وفى جلدى؛ فأنت تحبه مثل صوت الرباب. لو تدفعنى تحت أقدام قهرك، فسوف تنثر على رأسى مائة نثار من اللطف، ولو تجرحنى بسيف العدل، فسوف تجعل فضلك بلسمًا لروحى ولو تشق صدرى انتقامًا منى فسوف تجعلنى فى مائة حب من ذلك الحقد، ولو تظهر لى عقبة واحدة بالخوف فسوف تحلُّ لى مائة عقدة بالرجاء، وإذا ما أظهرتُ بخلى وجهلى فسوف تكشف لى عن جودك ورضاك، وإذا ما تعطنى الخوف من عذابك فسوف تعلمنى بسرعة درس التضرع، ولوتدفع بى إلى طريق مظلم فسوف تحضر لى مائة مشكاة من لطفك، ولو تلقى بى فى بحر متلاطم فسوف تعلمنى السباحة وتهبنى العزم، ولو تسحب جرمى فى الطريق مع مائة عالم فطالما ألجأ إليك من عارى وشنارى، فإذا ما كان الاضطراب منى فالسَّكينة منك، وإذا ماكانت خطوة منى فمنك مائة خطوة، وإذا ما كانت السَّكينة من عطاياك فليس ثمة عطاء مثل عطائك.

يا مَنْ الوفاء منك، لا تجافنى ، ويا مَنْ العطاء منك لا تأخذنى بجريرتى، إذا لم يتقبل أحدٌ عذرى فاستمحيك عذراً لجرمى، فعفوك يكفى، عين عفوك هو طلب العاصى ، ولهذا سلكتُ ميدان العصيان،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حينما رأيتك حلالاً لمشاكلى بسترك، مزقتُ الحجب بيدى مرة أخرى، طالعتُ رحمتك صاديًا، فاطلبْ الماء لى ، فقد أرقتُ ماء وجهى بذنبى، ومادمتُ أراك المحيى المطلَق، فتحقَقَ لى أن أرى نفسى مقتولاً ، ألقيتُ نظرة على مائة بحر من الحب، فلا جرم أن ألقيتُها باضطراب ، أنت المعزُّ وأتيت لك بالدليل، فقد أتيت بنفسى أمامك ذليلا، صرتُ على دراية ببحر فضلك فقد أتيتُ خاويًا الوفاض صادى الكبد، قد رأيتُ لك عالمًا من ماء الحياة، وأنا أموت شوقًا لقطرة واحدة منه، أطلب طوفان جودك وأصل من القحط يابس الشفة، السهم الذى انطلق من قوس حكمك وتقديرك ، جعلتُ الروح هدفًا لأجله، وأنا أخرج من مائة روح بسهم واحد؛ فلو تخرج النصل بيدك، ماذا أقول لك وأنت تعلم كل شىء؟ ولماذا أبحث عنك وأنت فى أعماق روحى؟ حينما صرتُ غير واعٍ لما قلته فمهما أقول عنك فأنت أكثر من ذلك بكثير.

أيها الخالق، أنا أَعْدو لتلك اللحظة ، التى بقيتْ، ويلزمنى رفيق من لطفك ، فحينما يحين الوقت فهو ذلك الوقت أيها الكريم ، فهْبنى القوة له أيها العظيم، ففى ذلك الوقت الذى تُنتزع فيه الروح، أنثرها لك أيها الخالد، وإذا ما تهبُّ نسمةٌ واحدة من ناحيتك فأنا أضحى بالروح فى حيّك، لحظة واحدة لى معك يتمُّ فيها كلُّ شىء، يامَنْ أنت كلُّ شىء ، أنعمْ علىَّ بتلك اللحظة والسلام.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى نعت الرسول ﷺ (ص ١٩ - ٢٣)

ذلك الذى هو فرض عين لنسل آدم، ويُنعت بأنه صَدْرُ كلا العالمين وبَدْرُهما، شمس العالم مربى الدين السيد القائد للأنبياء، قدوة الأنبياء والمرسلين مقتدى الأولين والآخرين، صادق القول فى الأرض والسماء، الطاهر فى الدنيا فهو مائة عالم فى عالم واحد، مرجع الخلق وإمام الكائنات ، فعله حجة وإعجاز أيضا ، ذاته جوهر بحر التقوى ، دعواته هى الدعوة إلى الحقِّ حتى الأبد ، جاء لكلا العالمين شفيعًا، جاء لنسل آدم معينا ، عقل الكل جزءٌ من صورة روحه، فصار كل جزء كُلاً من إيمانه، ضربت النوبة له منشور "أدنى"[٦٤] وحرر الطغرائى له " لانبى بعدى"[٦٥]، جاء "آدم " الشيخ له طفل طريق ، واتجه صوب شرعه من أجل اللبن، والشمس تونق بطلعته والسماء تحمل صوبه مائة سجدة ؛ فهو نقطة الكونين وبداية[٦٦] ظهورهما، وهو قدوة الثقلين وأعجوبتهما، ذلك لأنه فى الصورة بمعنى العالم ومن خلقه يكون الخلق كل لحظة ، الجنات

(٦٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [سورة النجم آية ٩] .

(٦٥) إشارة إلى الحديث الصحيح أن الرسول قد قال عن على بن أبى طالب " علىٌّ منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى" رواه أحمد والشيخان .

(٦٦) إشارة إلى فكرة النور المحمدى أو الحقيقة المحمدية ، وسبق الحديث عنها تفصيلاً فى الفصل الأول من الباب الثانى فى قسم الدراسة تحت بند " خامسًا" .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الثمانى جرعة من كأسه، كلا العالمين من ميمَى اسمه، ليس للعالم نصيب إلا ميم واحدة، ثم جاء لمحمد ميمان من الاسم، لا جرم؛ فالعالم الأول من ميمه الأولى وذلك العالم الثانى من ميمه الأخرى، هو سيد أولاد العالم وكفى، هو شمع جمع كلا العالمين وكفى، كان القطب الأصلى ظاهراً وخفيًا، ورفع الرأس بسبب ذلك من نافجة الدنيا ، هو نبى السيف بلا جور؛ لأنَّ "عليًا" رضى الله عنه كان لدينه كحد السيف(٦٧)، كان نبيا فى الظاهر والباطن، وقال نحن الآخرون السابقون(٦٨)؛ فله من الباطن حجة "كنت نبيًا"(٦٩) ، وله من الظاهر دعوة ختم الرسالة، نوره واهب الأصل للعالمين كليهما، ومقدّم على الدنيا والروح، شعاع كلا العالمين صورة قلبه، الجهات الست فى السموات السبع منزل له، هو ذلك الذى اعتزَّ الدينُ على يديه، ومن ضياء نوره فى الليلة الظلماء تلتقط الإبرة، ولمَ لا والشمسُ شمس وجهه، والليل آية ذؤابته ، هو البلسم الشافى لكل القلوب، هو المصرف لكل المشكلات، حيثما شق أرض المشكلات، طلع منها

(٦٧) إشارة إلى الحديث [redacted] : " لا فتى إلا على ولا سيف إلا ذو الفقار " .

(٦٨) إشارة إلى حديث : " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا ه من بعدهم وهذا يومهم الذى فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنافيه تبع فاليهود غدا والنصارى بعد غد " (صحيح البخارى الجزء الأول ص٣٦ وص١٠٣) .

(٦٩) إشارة إلى الحديث: " كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد " ويذكر أحيانا " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " وقد أخرجه البخارى فى تاريخه.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

شمس الكائنات، وحينما شق الأرض نصفين فى البداية ، تسنى له حل المشكلات الخفية، كفى أن كان قطب العرش والفرش والكرسى؛ فلماذا تسأل كيف مضى إلى الحق؟ ألا فاصمتْ ، أنَّى للورد أن يخرج من قباه بدون ريح الصَبا؛ وهو ورد الغيب المنصور من الصِبا، هو فى عمل من البداية حتى النهاية ، وغارق فى الأسرار من إخمصه إلى مفرقه ؛ ففى بدايته "زملينى يا خديجة"(٧٠) وفى نهايته " كلمينى يا حميراء"(٧١) ، حينما زاد النبوة جمالا، جعلت روحه الماضى حالا فى المستقبل ، كفى لأمر جسمهْ "دق عظمى"(٧٢) ، وتتنفس روحه منه "اشتد شوقى"(٧٣) أحضرت الشمسُ طستًا وماءَ الكوثر بسبب فتح فى صدره، وغسلتْ روحه الطاهرة حتى الأبد بماء الحياة من جملة الكون والكائنات، وما إن ابتعد الطست عن صدره حتى امتلأت المجرَّةُ بالنور من صورته، حينما صار الهلال نعلا لبراقه، صار بدرًا كاملاً فى

(٧٠) إشارة إلى ما قاله الرسول فى بداية نزول الوحى عليه، وعلى إثرها نزلت سورة "المزمِّل"

(٧١) إشارة إلى قول الرسول : "خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء" وهى السيدة عائشة أم المؤمنين التى كانت تلقب بالحميراء لشدة احمرار وجهها.

(٧٢) إشارة إلى ما قاله الرسول : " صوموا تصحوا " ، ثم قال " دق عظمى" بعد تأثر الصحابة حينما علموا أن بيته يخلو من الطعام منذ شهر .

(٧٣) إشارة إلى قول الرسول فى لحظة الموت حين قال لجبريل عليه السلام : "ماذا جاء بك يا جبريل" ؟ قال جبريل : " إن شئت قابضا وإن شئت زائرًا " فقال الرسول :" بل اشتد شوقى" .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بداية كل شهر، الشمس على بساطه رغيف خبز، مع أن حرارتها زادت عن الحد، وزحل كان حاجبًا له والقمر فى الليل البهيم قارعًا لطبله، الزهرة كناسٌ دائم على بابه والمشترى قاض القضاة لعساكره، والمريخ حارق لعدوِّه الحاقد، وعطارد طفلٌ بضّ يتعلم على يديه، أمام لطفه الروح عالم وماء الحياة قطرة والكوثر ندىّ، أمام خلقه هو الخلق وكفى ، وهو حُلَّة الفردوس للخلق وكفى ، أمام جوده فإنَّ متاع الدنيا يابسه ونديه يساوى قدر حبة شعير واحدة يابسة جدا، أمام علمه الملائكة والأنبياء قاطفو الثمار من يد عظمته، أمام حلمه فإن الجبل الوقور يرتعد فى الأرض فرقًا مائة مرة خوفا وفزعا، حينما أشرقت الأسرار من غيب الغيب سرًا سرًا ، جعلت ذلك النور الذى حصلت عليه هو نفس نوره؛ فهو قد ضارع "يوسف" الصديق جمالا وضرب خيمة حُسنه قبالته، وملأ حلق "داود" بالاضطراب من حُسن صوته وأدهش الخلق بصوته ، وضرب على كف "موسى" وأظهر اليد البيضاء جليَّة لكل العالم ، وألقى ظله حينذاك على نفس "عيسى" فألقى الاضطراب بسببه فى أرجاء العالم .

وحينما جاء"محمد ﷺ" أصلاً لهؤلاء السابقين فقد جاء أصلاً لهم بروحه، فلا جرم أن سبق العالمين كليهما فى الخلق، والأكثر عجبًا أنّ روحه كانت فقيرة؛ فالذى كان من الحق كانت روحه وليس هو – كجسد – ومن ثمَّ لم تكن له علامة سوى الفقر، كان مُلك " أحمد"

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من "أحد"، وكان ملكه حتى الأبد "الفقر فخرى"[٧٤] هو المقصود بالخلق وكفى[٧٥] فكان للحق الحبيب الدائم وكفى، ولم يكن فى الآفاق مجرد نبى، ولم يكن أحد يضارعه فى أمر النبوة، لكنه خاتم الأنبياء كلهم، لكنه ليس مستغنيًا كالآخرين، طالما كان مثل المصطفى نبيا، فكيف يساويه آخر؟ كيف يسترشد آخر بمصباح فى ضياء شمس المشرق؟ ألم يقل النبى: لوكان الكليم - موسى - الآن حيًا لاتبعنى ؟ "وعيسى ابن مريم" الذى رُفع إلى السماء يمَّم وجهه شطره فى آخر المطاف، ثم صار المسيح الشهير تابعه فسماه الخالقُ لذلك بالمبشِّر[٧٦]، ليس فى الإمكان نبوة بعده ، ولم يوجد أحدٌ قبله أكثر إيمانًا منه، اكتمل الإيمانُ فى عهده، وليس أعلى من الكمال إلا الزوال ، حينما أتى إلى حدِّ الإمكان لا جرم أن تقدَّم الأنبياءَ .

اسمعْ من القرآن، ولا تضيِّعْ نفسك عبثًا، إلى حجة " اليوم أكملت لكم "[٧٧] . لم يتسنَّ هذا الشرفُ مطلقًا لأية أمة ،

(٧٤) إشارة إلى حديث : " الفقر فخرى وبه افتخر". قال الحافظ بن حجر عنه إنه باطل موضوع (العجلونى: كشف الخفاء ١٣١/ ٢) .

(٧٥) إشارة إلى الحديث الضعيف " لولاك .. لولاك ما خلقت الأفلاك".

(٧٦) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [سورة الصف آية ٦] .

(٧٧) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [سورة المائدة آية ٣] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولم يتسنَ هـذا العزُّ مطلقا لأى نبى آخر، جاء اختلاف أمته رحمة[٧٨]، وماذا أقـول عن اتفـاق أمته عليـه؟.

فى معراج الرسول ﷺ (ص ٢٣-٢٩).

ذات ليلة هبط" جبريل" الأمين، وقال : يا محبوب رب العالمين، مائة عالم من الروح قد جلست فى انتظارك، وفتحت لك قلوبًا كانت مغلقة، للسموات السبع حياة من طلعتك، حتى تخرج إليهم من هذا الرواق ذى الجهات الست، فتضىء للأنبياء عيونهم، وتونق للملائكة أرواحهم، وتضرب هذه الدنيا وتلك فى بعضهما ، ثم تنشر علمًا فى ذروة العالم، حينما تمضى دائمًا من الدنيا ومن الروح، فسوف تجد الروح والدنيا فى قربك فى التوِّ.

وما إن سمع "المصطفى" هذا القول حتى هاجت روحه مثل البحر، وانطلق من " وثاق أم هانئ"[٧٩] حاملاً معه على " البراق" أم الكتاب[٨٠] شوقًا، وهكذا أطلق العنان صوب السماء حتى تجاوز

(٧٨) إشارة إلى حديث أورده المحقق فى حاشية (٣) ص ٢٣ نقله عن سفينة البحار ١/٤١٠ وهو : " اختلاف أمتى رحمة" .

(٧٩) وثاق أم هانئ هو منزل أم هانئ بنت أبى طالب رضي الله عنها واسمها فاختة، وهو المنزل الذى انطلق منه الرسول ﷺ إلى معراجه حسب رواية ابن عباس رضى الله عنه التى جاءت فى صحيح البخارى فى أول باب الصلاة.

(٨٠) أم الكتاب هى الفاتحة، ويقال هى القرآن كله.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الزمان والمكان، وجاءه العالمان كلاهما متشفعين، وطوى له كلا العالمين بطبقاته المتعددة، وهو فى ذلك المعراج لا ينظر إلى مكان ؛ لأن الملك يعلم مَنْ هو ، فلا جرم أن رأسه كانت حادة كالإبرة، وكانت عينه إلى أسفل كالإبرة ، لم يرفع عينه عن قدمه مثل الإبرة، ولم يبق للإبرة رأس أو مكان قط، لا جرم أن لم تبق له إبرة واحدة عدوا، ولم تبق إبرة مقيِّدة له مثلما كان " عيسى "[٨١]، طالما لا تجد الإبرةُ هذا الرسن، فأنَّى لها المضى فى طريق طويل.

فأظهر الحقُّ تعالى الكثير من كرمه له بما لم يظهره لأحد فى أى قرن من القرون؛ إذ كشف له عن سرِّ كل الكائنات حتى يطلع السيد على شمس الذات ، لأن كلَّ سرٍّ له يخرج مثلما يخرج القمر من السحاب ويصبح واضحا بدون أسف منه، لكن الرسول لم ينظر لذلك، يعنى أنه يعلم ما مقصودى ، فللعين رؤية وللروح وَسْمٌ وكفى، وإلا فكفى لعينه بدونه " ما زاغ "[٨٢]؛ فشاهد فى البداية "آدم" ذلك الذى وُلد طفلاً شيخًا فأخذه من التراب وأعطاه لبن لطفه ، " فآدم" كان بلا أب وبلا أم فاعتنى الحقُّ تعالى به، فمرحى لعناية الحبيب. وألبسَه حُلةً من عُريه، فما العرى؟ أى هو من إيمانه. وعلَّمه أولاً

(٨١) تذكر الروايات أن عيسى عليه السلام حين صعد إلى السماء لم يكن معه من الدنيا سوى إبرة فلم يُفسح له الطريق إلى الجنة حتى ألقى بهذه الإبرة (تعليقات فؤاد روحانى على الهى نامه ص ٣٤٧- ٣٤٨ كنا بفروشى تهران).

(٨٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [سورة النجم آية ١٧] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأسماء كلها[٨٣] وعظَّمه فى النهاية بالمسميات ، وصار بعد ذلك للتدريس مقصداً، وقال درس " ما أوحى "[٨٤] إلى " إدريس" وصدَّق "نوحًا" فى مصيبته وعلِّمه النواح شوقا للحق، واتجه من هناك صوب "إبراهيم"، وعلّمه مائة درس فى الخلَّة[٨٥] وفى إثر ذلك أعطى "يعقوب" دواءه بأن وهبه " بيت الأحزان "لألم دينه، ثم مضى صوب "يوسف" وهو يطالع الأفلاك ، وقد استملح حسنه، ثم مضى صوب "اسماعيل" واهباً إياه الروح؛ فهو قتيل العشق وقد أعطاه قربانًا، وأظهر لأمر "موسى" الكثير من تفكيره، وأظهر له مائة طور أعلى من طوره مائة مرة ، وأباح مائة سرٍّ عن النبى "داود" ، وأعاد عليه سرَّ "زبوره" المكنون، ثم أعطى " سليمان" فى قصره السلطانى خاتمًا فى مملكة الفقر . وجعل "لأيوب" النبى مَحلاً جديداً وبدَّل له مُلك الدنيا بالآخرة[٨٦] وصار لـ " يونس" مرشداً من الحوت (الأرض) حتى القمر (السماء) وجعله ملكًا من السماء إلى الأرض، وكان " الخضر" طاهر الذات صاديًا له، فوضع على شفته قطرة ماء الحياة ، وحينما رأى رأس "يحيى" الطائرة ضمَّه مع " الحسين" فى

(٨٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [سورة البقرة آية ٣١] .
(٨٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ [سورة النجم آية ١٠] .
(٨٥) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [سورة النساء آية ١٢٥] .
(٨٦) حرفيا ، وبدّل ملك كرمان بالجنة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

عقده ، وجاء إلى " عيسى " وجعله مفتيًا ، وجعله فى الهداية مهربًا حتى الأبد ، ومع أنه قد وهب أعماله مائة نظام ، إلا أنه لم يكن معه لذرَّة واحدة والسلام. وفى النهاية حينما تجاوز الأفلاك ، اعتزم منزل "لولاك"(٨٧) ، هكذا ذهبَ ولم يعدْ ذهابٌ ، وكان " محمدٌ " يقول لك فلم يبق قول ؛ فسقط فى البعاد فى كل جذبة حينما قطع مائة عالم من العقبات ، وتحدث مرارًا فى ذلك المكان وقطع فى كل لحظة طريق آلاف الأعوام . وحينما لم يعد له طاقة فى الطريق ولا نفس ، ولم يبق له محرمٌ سوى واحد ، وضعوا أمامه كرسيًا من نور ، وفتحوا أمامه حجابًا سرمديًا ، وحينما سقطت هيبةٌ وعظمةٌ لا حد لهما ، سقط الارتعاد فى روح " أحمد " ، فى هذه اللحظة انمحت ميم " أحمد " ، حتى بقى " أحد " وذهب " أحمد " من البَيْن . حينئذ جعل هذا الحالُ اللسان أخرسَ ، ولزم للحال الحديثُ بلسان أبكم ؛ فليس ثمة مكان لنا فى مثل هذا المكان ، وليس ثمة نصيب لنا سوى الأسف والحسرة ، وحينما أُهرفُ فى هذا المقام الصعب ، أكونُ مثل نملة تحمل على ظهرها جبل قاف ؛ فلو كان للنملة خصر مثل جبل لكانت جديرة بلا شك لهذا العمل ، وحينما ظهر لها صلة بهذا الخَصر ظهرت رغبة للعاشقين . وفى النهاية أعطوها منه مالها ، وأعطوها كل ما تطلبه أكثر من ذى قبل .

(٨٧) إشارة إلى الحديث [redacted] : " لولاك .. لولاك ما خلقتُ الأفلاك " .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

حينما جاء " محمد " مع نفسه لم يكن هو ؛ فواعجبًا قد تقول إنه ليس هو ، مثل رجلين من العرب تحابا وطلبا المحبة بينهما ، وأسقطا القوسين عن بعضهما على التمام ، أى أنهما صارا واحدًا على الدوام ، ولأن هذين الشخصين جاءا فى الأصل ذاتًا واحدة ، فاسْمُ هذا - عند العرب - عقد المسافات(٨٨) . وواعجبًا ، حينما صار هذا العقد منعقدًا صار دائمًا دمًا وفعلاً وقولاً ، وجاء ما للأول ما للآخر ، وجاء حالُ هذا حَال ذاك . ونهضت الاثنينيةُ بينهما فى واحد وتعطلت أيضًا أنا وأنت . وفى تلك الليلة قال " ألَسْتُ "(٨٩) ، وعقد مع النبى عقد المسافات . فألقيا قَوْسَى " قاب قوسين "(٩٠) ياللعجب عن بعضهما من الصدق والطلب . وحينما حصل من الحبيب على هذا العقد ، صار قوله وفعله كلية قول الحبيب وفعله . وتأملْ أولاً قوسَى حاجبيه حتى يصير لك قاب قوسين صدقًا ؛ فلو كان لقوس " زاغ "

(٨٨) أى الوصول إلى مرحلة البقاء بعد الفناء طبقا لما جاء عند "فروزنفر" فى " شرح أحوال العطار ص ٤١٣ " . وجاء فى نهاية المنظومة " مصيبت نامه " ص ٤٦٤ فى " لغات واصطلاحات " : أن عقد المسافات هو أحد العقود اللازمة بين مالك الحديقة وحارسها الذى يحرسها له مقابل حصة من انتاجها .

(٨٩) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ [سورة الأعراف أية ١٧٢] وهى آية العهد .

(٩٠) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [سورة النجم آية ٩] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى هـذا العـالم كـان للقـوس الآخـر " زاغ " من " مـا زاغ "[٩١].
ظهر قـاب قوسين فى العدد ، وظهر فَرْدُ حاجبيه من " أحد " ، وتحقق له سقـوط واحد منهـما ، فسـقط واحد معـه وواحد مع الحقِّ ، حـينما صار قوسا حاجبيه متصلين صارا واحدًا وتحررا من الاثنينية ، وصارت قاب قـوسين آية مـحكمة للـقلب ذلك ؛ لأن قوسَى الحـاجبـين صارا متصلين فى واحد .

حينما صار النبى قيد هذا العقد صار لروحه نقد التوحيد المطلق ، وصل خطاب من حضرة العـزة ، فصـارت كلُّ ذرة دائمًا مائة شمس . فقـال له " الحقُّ " تعـالى : يا حبيب الخلق ، لو أقسم الخلق باسمى ، فأنا لقدرك هذا أقسم بك ، ولهذا أتذكرك بـ " لعمرُك "[٩٢] ، انظر إلى أسفـل وافتح عـينيك النرجسيتين أيضًا حتى ترى ما تحت قـدمك ، وحينمـا نفَّذ المصطفى الأمـر الإلهى ، رأى أسفله حـفنة تراب طريق ، قـال " الحقُّ تعـالى " : مـا أقلَّ مـا رأيتَ ، وذلك الذى جـاء كله تحت أقـدامك هو تراب أعـتـابك يا صـدر الأنام ، جـعـلتُـه كلَّه فى شـأنك والسلام . قـال " محمد " : يارب ، هذا كلُّـه يقتلنى ، ذلك لأننى أراه كله حـفنة تراب ، قـال " الحـقُّ تعـالى " : أىُّ قَـدْر لهـذا إلا أنه تراب

(٩١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [سورة النجم آية ١٧] .
(٩٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة الحجر آية ٧٢] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

تابك ؛ فأنا أهبك محبتى وهذا مكانك ، فقال " المصطفى " : أردتُ
ن أسجد أمام الله فى هذا المكان ، وما إن انحنيتُ على الطريق
ساجداً ، حتى رأيتُ نفسى على فراشى .

حينما رأى العالمين صار صاحب سرّ ، وفى عودته رأى فراشه
ا زال دافئًا . ثم صار فراشه باردًا فى ذلك الوقت ؛ لأنه كان قد خرج
ن الزمان وعن المكان . يا من مكانك خارج كلا العالمين ، ما العالمان ؟
نهما تراب أعتابك ، السماء حلقة واحدة من ذؤابتك ، بل هى عارفٌ
عبد حيِّك ، ذهبت السماءُ يا مَنْ عرقُك وردٌ أحمر؛ فجفف وجهك
بورق من الورد لا بورق الشجر. يا مَنْ قيام " فاستقم "(٩٣) معراجك ،
ويا من " قم فأنذر "(٩٤) لعمرك تاجك . جاء لك " اقرأ "(٩٥) من قلب
قارئ ، و" ألم نشرح "(٩٦) من روح عالم . وأنت كنت طفلاً أميّا ،
وقراءة خطك يكون من لوح المولى . فلا جرم أن أتيتَ أميّا مطلقًا ،
أتيتَ صامتا عن نفسك ناطقًا عن الحقِّ . كل كلام تنطق به من الحقِّ ،

(٩٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة هود آية ١١٢] .
(٩٤) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [سورة المدثر آية ١ ، ٢] .
(٩٥) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [سورة العلق آية ١] .
(٩٦) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [سورة الانشراح آية ١] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ذلك لأن روحك مشتقة من نور الأحباب . كل طعام وصل إلى حلقك وصل إليك من خلق خالق الخلق . إذا لم تجد حتى الأبد رائحة الطعام فيكفى قوت " يطعمنى ويسقينى "[٩٧] . يا مَنْ الأرض والسماء تراب بابك ، العرش والكرسى قاطفًا ثمار جوهرك ، فطالما أحيا وطالما أعيش فأنا عبدٌ أسير لك بمائة روح . لا جرى على لسانى غيرُ ثنائك ، ولا كان لروحى نقدٌ سوى وفائك ، أنا لستُ باللائق لو صف ذاتك ؛ فهذا القدر الذى تيسر لى فمن بركاتك . لو جاء الوصف مبارزًا لعقلى ، لجاء العقل قاصرًا عن الوصف وعاجزًا ؛ فحين يسمعه أحدٌ يعلم أنه وصف لله ، فهو يعلم أنَّى لوصف إنسان أن يصل إلى هناك .

أنا لا أدَّعى أننى لك " حسَّان "[٩٨]، بل أنا تراب كلب لديك بالنسبة له . إذا لم ترغب فى النظر إلينا ، سنظل نقول حتى الأبد : أين المفر ؟ فعُدَّ كلامى هذا لأمتك ، وأنا سوف أُظْهِرُ لهم ذلك الذى ترغب فى فعله ، ذلك لأن هذه الحكاية نقلٌ عنك ، هى من ثقاة القاطنين لديوانك .

(٩٧) إشارة إلى حديث " أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى " رواه مسلم . وفى شرح النووى ١٥٦ / ٣ برواية (أبيت يطعمنى ربى ويسقينى) .

(٩٨) يقصد الشاعر العربى " حسان بن ثابت " شاعر الرسول ﷺ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى الحكاية والتمثيل (ص ٢٩ - ٣٠)

حينما عاد " الرسول " ﷺ من المعراج ، قالت له " عائشة " رضي الله عنها : يا بحر الأسرار ، أسمعتَ بأُذُن روح من الحقِّ تعالى سراً ، فأبحْ به ليكون نبراساً لقلبى . قال: قال "الحقُّ تعالى" : أيها النبى لأجلِ حرمتك عندى ، إذا كان من أمتك واحدٌ من أهل السعير ، فهو أحبُّ إلىَّ من واحد من أهل الجنة من أمة أخرى .

لو تعدَّنى من أمة(٩٩) ، فعدَّنى من أمتك كرمًا منك مع ما لدىَّ من ذنوب ، وأنا لا أقول لك أن تميّزنى عن أحد ، بل عدَّنى فقط من عداد أمتك . حينما تكون لك البراءة والقدر فى ليلة ، من ثمَّ فالاثنان يمثلان لك يوم العيد . فلو تُنعم علىَّ بالبراءة من النار ، يصل إلىَّ من قدرك عيد سعيد . لو كان لى كَسْرٌ فى معنى الدين ، فاجبرْ كَسْرى يا ملك الدين . حينما حطمتُ جبرى فهذا يحدث دائما وأنت تعلم أن الكسر لازم للجرِّ . كان طوفان الشفاعة أمامك ، فجئتُ إليك مع قحط الطاعة . جئتُ إلى بابك قليل البضاعة على أمل فى شفاعة واحدة . حين تُقطر على شفتى اليابسة قطرة واحدة من بحر الشفاعة للحظة واحدة ، كيف يصير شخص يائسا من تلك الشفاعة ؟

(٩٩) الحديث صار " للعطار " موجهًا إلى الرسول ﷺ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فكفى أن تكون فى النهاية الشفيع المشفع . إذا لم يكن لى حقٌّ عليك فى الرحمة ، فكفانى رحمتك يا ولى النعمة . يا من وجودك رحمة للخلق ، انظرْ لروحى فقد بلغت الحلقوم . اخلعْ عليها خلعة من الإيمان يوم العطاء ، حينئذ تخرج مستريحة من حلقى . فخذْ بيدها بأن تجعل لها روحًا ، فتجعلها حتى الأبد علاجا لألم القلب ؛ فلو تجعل الإيمان الطاهر للروح رفيقًا ؛ فالروح تنعم والجسد يرتاح ثاويًا تحت التراب . اللَّحد يا شمع الدين فى قاع الجُبِّ ، كفى شعرة واحدة لك هى الحبل المتين لى . وأنا بتلك الشعرة أخرج من أنينى ولوعتى ، فأخرج مثل الشعرة من العجين[١٠٠] . فحين أتذكر ذنوبى ، أتذكر ديوانها الأسود ، أنا خجلٌ من تذكرها وأصرخ من أعماق القلب من ذلك الخجل . فما أكثر أن أكون ثملاً فأطلب الإنصاف منك . كفى لروحى أن تكون أمام مَلِك مثلك ، فصحْ واطلبْ منها السكوت . طالما تدفقت نيران ألمى حتى العين فقد تدفق ماء وجهى من الكبد إلى العين . القلب هو نقدى ، وأنا فقير عن الجميع ، فخذْ بقليلى يا مَنْ أنتَ الغنى عن الجميع . استقام أمرى من نظرة واحدة لك ، وذلك لأنه صنيع أمرك والسلام .

(١٠٠) إشارة إلى المثل المشهور : خرج منها مثل الشعرة من العجين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى فضيلة أمير المؤمنين أبى بكر رضي الله عنه

(ص ٣٠ - ٣١)

طالما اتخذ النبىُّ ﷺ الصدِّيقَ رضي الله عنه مَحْرَمًا ، فإنَّ الصبح الصادق قد شمل ساحة العالم . أشرف صبح الصدق من مشرق العزَّة ووجدت الدنيا عزَّها فى كل ناحية لها ، وامتلأ أرجاءُ العالم بالنور منه وأصاب عينَ السوء إمَّا بالعمى أو بالبعاد، وانهمر الصدقُ من كل أعماله وإن لم تكن تعرف فابحثْ عن أسراره ، وكانت قوته تذوب فى محيط صدره حين صار النبى ضيفًا على الحىِّ الذى لا يموت[١٠١] . وكانت السموات السبع الجذابة مغلقة له ؛ لأنه لم يأكل زادًا طيلة سبعة أيام ؛ فقد ضحى بما لديه من مال تارة وبالروح تارة ، وتواءم مع الرسول ومع الإله ، حتى قال عنه " المصطفى " " للَّه " الجليل : لقد كان وسيكون دائمًا لى الخليل . ولو كان ثمة خليل لى بخلاف " الأحد " ، هو لى " أبو بكر " حتى الأبد .

جاء تجلٍّ واحدٌ للخلق عامة، وجاء له خاصةً من الإنعام ، لو كان ميتٌ يسير على وجه البسيطة ، لكان الصدِّيقَ الطاهر حسب قول

(١٠١) إشارة إلى قول " أبى بكر " رضى الله عنه . حين علم بوفاة الرسول ﷺ : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حىٌّ لا يموت .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النبي[١٠٢] ؛ فحينما ماتت فيه صفاتُ النفس[١٠٣] ، فقد عاش الحياةَ بسرٍّ صدقه ، لم يسقط فى هذا العالم من نفسه وقد سبقته روحُه إلى ذلك العالم . وصارت روحُه مثل ذلك العالم . صارت غريقة بحر المعانى ؛ فقد صار لها ذلك العالمُ طالما كانت هو ، وقد استولت عليه طالما كانت هو ، وحينما تكون روحه واحدةً فى ذلك العالم فإذا ما تحدثتْ تحدثتْ صدقا . لا جرم أن كانت فى تحقيق دائم فقد كان الخليفة وكان الصدِّيق أيضًا ، وحينما أباحت روحه بسرٍّ ذلك العالم ، فقد فتح صدقهُ فى الخلافة بابًا . والْفتْنَةُ[١٠٤] التى استيقظتْ بعد نوم النبى ، قد تعامل معها وحيدًا ، حتى أخمدَها فى محلِّها واحتواها ورأب ذلك الصدع . إنْ لم يكن صادقا وسديد الرأى ما بقى اسمه كثيراً بين المسلمين .

فى فضائله (ص ٣١)

فى ليلة المعراج سأل " المصطفى " سؤالاً فى حضرة " ذى الجلال " وقال : يا عليم يا عزيز أنا معك مثل مَنْ ؟ قال : أنت معى مثل "أبى بكر" معك أيضًا .

(١٠٢) إشارة إلى هذه الرواية التى أوردها المحقق فى حاشية (١) ص ٣١ فى المنظومة نقلاً عن تمهيدات عين القضاة : مَنْ أراد أن ينظر إلى ميّت يمشى على وجه الأرض فليظر إلى ابن أبى قحافة .

(١٠٣) يقصد النفس الحيوانية الشهوانية المعروفة لدى الصوفية بالنفس الأمارة بالسوء .

(١٠٤) يقصد الفتنة التى ظهرت بعد وفاة الرسول ﷺ وأدت إلى حروب الردة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى فضيلة أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه (ص ٣١ - ٣٢)

ذلك الذى كان " عيوقُ "[١٠٥] ترابَ أعتابه هو " الفاروق " لدى سيد العالمين ، جاء عارفًا فى الأمر بالمعروف وجاء واقفًا ولكن ليس موقوفًا ، أنعم عليه الحقُّ تعالى بصفة العدل كلية ، لا جرم أنَّ الحقَّ كان عادلاً فى إنعامه هذا ، فعينُ عدله هى عين الحياة للخلق ، وعين اسمه هى حلّ عقد المشكلات ، " ابن الخطاب " الذى يخطب بالحقِّ وهو على لسانه أوضح من الشمس ومادام لسانه جديراً بأنه لسان صدق فإن عينه يليق لها رؤية الحقِّ . وطالما لسانه وعينه على هذه الشاكلة فإنَّ قصة " يا سارية "[١٠٦] تكون يسيرة ، فإذا تحدث كأن حديثه الوحى ، فصار الشيطان أخرس قليل الحيلة . وكان ظل ذاته مثله ماضيًا فكان الشيطان يتحاماه رعبًا منه[١٠٧] ؛ فالظل الذى قد علاوه بإحكام جعله كل الشياطين منطاق ال " كشتى "[١٠٨] لهم - خوفًا ورعبًا - هو ظل الدين شمس الرأى ، صار ظلاّ للبارى سبحانه ، كان يؤدى لله سراً سبع عشرة فريضة ، فى مكان

(١٠٥) أحد الكواكب السماوية .

(١٠٦) إشارة إلى القصة التى وردت عن سيدنا عمر " يا سارية الجبل الجبل " ويمكن الرجوع إليها فى اللمع للطوسى ص ١٧٣ . وقد أعطاها الشاعر هنا بُعدا صوفيا يتمثل فى فراسته .

(١٠٧) إشارة إلى قول الرسول : " إن الشيطان ليفرُّ منك يا عمر " . الجامع الصغير ٢٧٤ / ١ .

(١٠٨) سبق الحديث عنه فى حواشى إحدى الصفحات .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

بمرقعة كأسمال الدراويش ، فجُلُّ ماله وكلُّ مُلْكه مرقعةٌ ودرةٌ ، لذلك ما كان يهاب أحداً لذرةً ، كان يضرب بهراوته فينفطر قلب " قيصر " نصفين، ويضرب رأسه عن بُعد بالحجر من شدة خوفه ، فلا ينام ملكٌ في الليل رعبًا منه ، ويظل طوال الليل كلّه ساهداً ، مع أن شجاعته تحطم قلب العالم إلا أنه كان يحمل الماء كالسقاء لكل أرملة عجوز ، إذا لم يكن " عمر " يتجاوز عن تنفيذ حكم ، فإنه طوال عمره لا يكف عن أداء العمرة ، حتى أسرع " أبو لؤلؤ " كالبرق إلى طعنه ، فتخضب اللؤلؤ الصافي بالدم . وصار الضياء محجوبًا عن الدنيا؛ لأن سراج الجنات الثماني قد خبا ضوؤه[١٠٩] ، لا لم يمت بل صار حيًا خالداً ، فإذا كان سراجًا فقد صار مائة شمس ، لقد كان سراجًا ضياؤه النور ، وزيته الحق والزهد.

في فضائله (ص ٣٣)

روى " المصطفى " هذا الكلام عن ربِّه فقال : لي فضل ومباهاة على جميع الخلق ، لكن لي مباهاة خاصة " بالفاروق " ؛ فليس لأحد من الإخلاص هذا الإخلاص .

(١٠٩) إشارة إلى قول الرسول ﷺ : " عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة " ، الجامع الصغير ٢/١٤٢ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى فضيلة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه (ص ٣٣ - ٣٤)

حينما أخذت الخلافةُ رونقَها بتولى " عثمان " أمرها ، أحاط الإيمان بأرجاء الدنيا من شرقها حتى غربها ، وصار العالم فى عهده على دين الحقّ من كمال فضل الله عليه ومن جهده ، لقد كان بحراً للحياء زاخراً ، وكان جبلاً للحلم راسخًا ، وكانت روحه الطاهرة غارقة فى بحر العلم. لم يكن له شبيه فى السخاء بين العالم، ولم يكن له نظير أيضًا فى وفاء الدين . وحينما صار أثيراً لدى سيد الكونين ؛ فقد صاهره "ذو النورين" مرتين[١١٠] ، فقد كان طبع هذين النورين أيضًا هو الصدق ، فصارا علَمَين على طرف ثوبه ، وكانا لروحه بمثابة المقلتين بل هما قطبان لعالم عرفانه ، وكانا يعدان له مثل الكونين ، بل إنَّ الكونين قليلان أمام كل نور من هذين النورين . وحينما لقّبه الرسول ﷺ بـ "عين الإيمان "، فلأنه كان يقرأ كلّ لحظة عليه " ق والقرآن" ، حتى إذا انقطع نفسه مع "صاد" فى " الصور "[١١١] ، كانت " قاف والقرآن " لديه هى " السيُمرْغ " وكفى[١١٢] .

(١١٠) لقب عثمان رضى الله عنه بهذا اللقب لأنه قد تزوج من ابنتى الرسول ﷺ أم كلثوم ورقية وقد تزوج الثانية بعد وفاة الأولى .

(١١١) أى حينما بلغ حرف " الصاد " فى قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴾ (سورة ق آية ٢٠) .

(١١٢) أى كانت سورة " ق " ملجأ له مثلما كان جبل " قاف " مقرًا " للسيمرغ " فى منظومة " منطق الطير " للعطار حيث كانت الطيور تطلبه وتدرك أنه المقصود بالسلوك .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولأنه كان رحيمًا بأهله وذوى رحمه ، فقد أصاب هذا حفنة من العوام بغصّة وحقد[١١٣] . فكيف يتسنى لمن أعماهم الغضب فى كلّ حال أن يرى للرحمة أى نوع من الجمال ؟ فقد كان عثمان منقطعًا لقراءة القرآن وقد تمنطق ببحر القرآن ، وحينما أشهروا سيف قتله ، كان جالسًا هكذا بمنطاق القرآن .

لا جرم أنه حينما أطاح أعداؤه برأسه ، ختم جَسَدُه القرآن بغير رأس ، وحينما فاز بآخر القرآن سكت ، وقد ضرب الأعداء عنقه . كان عشقُ القرآن مثل شرايين روحه ، فقد كانت شرايينه وكان جسده كله القرآن ، وكان الدم يتقاطر هكذا ، من عروقه وكان دمه يتدفق فى عشق القرآن حتى الأجل ، فلا جرم أن القرآن شاهدٌ على كماله ، وتلك القطرة من دمه هى خالٌ على جبينه حتى الأبد ، لا .. فإن تلك القطرة من الدم حينما صارت يابسة ، صارت للقرآن مسكًا إذا ما كان المسك دمًا ، لا .. فإن تلك القطرة حينما خرجت من جسده صارت للقرآن قلبًا وتخضب القلب دمًا .

(١١٣) هذا البيت يكشف بوضوح عن دفاع الشاعر عن عثمان رضى الله عنه فى محاباته لأهله وأقاربه فى توليتهم المناصب فى عهده ، مع أن المؤرخين يرون غير ذلك بأنه اختص بنى أمية فقط بالملك والثروة دون المهاجرين والأنصار . ويمكن الرجوع فى ذلك إلى ما كتبه الشيخ محمد الخضرى بك فى محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية . الدولة الأموية ص ٤٠ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى فضائله (ص ٣٤)

قال الحقُّ تعالى : أيها الروح الأمين ، سلْ ثانية نبى العالمين ، وقلْ له : أيها النبى ، أنا راضٍ عن " عثمانك " ، فهل هو راضٍ عن " رحمانك " ؟

فى فضيلة أمير المؤمنين على رضي الله عنه (ص ٣٤ - ٣٦)

الرونق الذى إزدان به دين النبى ، أخذه من أمير المؤمنين "حيدر" ، حينما صار أميرُ النحل[١١٤] أسدًا فحلاً ، أذاب بحديده حجر الشمع ، كان أميرَ النحل بسبب يده وروحه ، ذلك لأن علمه الشهد وسيفه الزنبار ، قال : لو واجهنى مائة جيش فلن يرى أحدٌ ظهرى مطلقا وقت الحفيظة، سواء أكان أهلا لأن يكون " رستم "[١١٥] أم لا ، إلا أنه حين يظفر بشيخ يكون أمامه ليِّن العريكة ، بطولته من الحىِّ القيوم؛ فهو "رستم " فى الخيال أو فى الحقيقة ، أسد الحق يرعى الدين بسيف الحقّ ، شارك فى صناعة التاريخ مثل "زال "[١١٦] و "رستم " .

(١١٤) الشيعة يطلقون على سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه لقب : " يعسوب الشرع " .

(١١٥) أحد أبطال الفرس القدماء الذين خلدتهم "شاهنامة الفردوسى" . وكثيراً ما يستخدم الشاعر كلمة " رستم " بمعنى البطل .

(١١٦) هو والد رستم البطل الإيرانى القديم وهو أيضا أحد أبطال الفرس القدماء كما جاء فى شاهنامة الفردوسى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

له لُبَّان اثنان من " الحسين " ومن " الحسن " بل هما لُبَّان، ويدور عنهما الحديث . فجاء عنه من المصطفى " لا فتى إلا على "[117] ، ومن إله الكون " هل أتى "[118] ؛ فمن يديه جاء " لا فتى " ومن أرغفته الثلاثة[119] جاء "هل أتى" ، فحينما برزت أرغفته الثلاثة على الطريق ، انخسف قرصا القمر والشمس أمامها، كان " علىّ "للنبى مثل" هارون " لـ "موسى" ، فإنّ لم تعدّهما إخوةً ، فكيف يكونان ؟ ، فكلاهما من أصل واحد وأيضًا رفيقان ، مثلما كان موسى وهارون[120] ، لقد جاء " علىّ " مثل القلب لآل " ياسين " ، جاء قلبًا مقترنًا بـ " يس "[121] ، هو قلب القرآن قلبه مفعم بالقرآن ، ورد فى شأنه " وال من والاه "[122] ،

(١١٧) إشارة إلى ما ذكره محقق المنظومة فى حاشية (١) ص ٣٥ أنه جاء فى كتاب النقض ص ٢٥ على لسان " جبريل " عليه السلام " لا فتى إلا على ولا سيف إلا ذو الفقار ".

(١١٨) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [سورة الإنسان آية ١].

(١١٩) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [سورة الإنسان آية ٨] وهنا إشارة إلى الأرغفة الثلاثة التى وَرَدَ أنّ عليًا رضى الله عنه أعطاها للمسكين واليتيم والأسير ولم يكن فى بيته سواها . .

(١٢٠) إشارة إلى حديث " علىّ منىّ بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى " . وسبق الحديث عنه .

(١٢١) " يس " من أسماء الرسول ﷺ و " آل ياسين " هى أسرته التى منها علىّ بن أبى طالب .

(١٢٢) إشارة إلى حديث : " من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللهم وال مَن والاه وعاد منْ عاداه " رواه الطبرانى والضياء فى المختار وصاحب الجامع الصغير . بينما ذكر " العَجلونى فى كشف الخفاء " عنه أنه متواتر .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كان " ناقــة الله "[١٢٣] ويا للعـجب فى الحجـر الذى أصـابها ؛ فـقد جاء فى طلبـه حجـرٌ شقَّ الناقة[١٢٤] ، فحـينمـا حملت ناقـةُ الله أسدَ الحق، قـال "علىٌّ" : " فزتُ وربِّ الكعبة "[١٢٥] .

لو تنطق بالحقّ ، يكون طيبا حقًا أنْ تقول لناقة الحقّ أن تحمل أسد الحقّ ، فلو صار جملاً يكون خـطــام فـمه مـع الطـفــل "حسين" ذى الخلق "الحسن "[١٢٦] ؛ فذلك الذى صـار جملاً لأجـل ابنه قد أرسل الجـمل لأجل أبيه . صـار أشـقى الأولين جـمل الحقّ ، وصار أشـقى الآخرين أسد الحقّ .

فـى فضائلـه (ص ٣٦)

قال " المصـطـفى ": مَنْ يشبه " آدم " علمًـــا و " نوحـًا " فطنة و " إبراهيم "حلما و "يحيى" زهدًا و " موسى " قوة ؟ إنْ لـم تكن تعلم ، فإنه شجاع الدين " على " .

(١٢٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [سورة الشمس آية ١٣] .

(١٢٤) الشاعر هنا يمزج بين قتل " علىّ " ﷺ على يد " ابن ملجم " وناقة " صالح " ومَنْ عقرها .

(١٢٥) إشارة إلى مـا أورده المحقق فى حـاشية (٦) ص ٣٥ من المنظومـة من أنّ عليًا قـال حين قتله : " بسم اللـه وبالله وعلى ملّة رسول الله فزتُ وربِّ الكـعبة " . وقـال العجلونى فى كشف الخلفاء ٢/٥٣٤ إنه لم يجد له تخريجًا.

(١٢٦) يقصد مداعبات علىّ ﷺ مع ابنه الحسين ﷺ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فى فضيلة الحسن رضي الله عنه (ص ٣٦)

نور عين " المصطفى " و " المرتضى " ، شمع جمع الأنبياء و الأولياء ، قد جمع حسن الخلق وحسن الظن فيه ، وكل أفعاله "حسنة" كاسمه ، صفحة وجهه وفيها ضفيرته السوداء اللون كلها إشراقة كالشمس ، حينما رأى العالم قد انعدمت فيه المروءة ، أراد أن يهبه ما رآه معدوما فيه . جدُّه[١٢٧] الذى كان العالمان ملك يمينه ، كان يجعل من نفسه جملاً له مُلاعبًا وملاطفًا . وكان يحمله على كتفه فى صلاته ، وكان يدعوه قرة العين . مثل هذا الذى كانت له رفعة الأب والجد ، كان الكون كلّه معلمه . رحل هذا الابن مسمومًا إلى حيث جده فصار فى حياة أخرى مع الأب[١٢٨] بالقتل . تلك الشفاه التى لعقت لبن " الزهراء "[١٢٩] ، وقد طبع " المصطفى " عليها قبلة ، كيف يتسنى للسمّ الزعاف أن يمضى عليها ؟كيف يمكن لهذا القهر أن يصيب كبده؟ . ومع أنهم سألوه عن اسم قاتله ، إلا أنه صمت ومات والسّر مطوى فى قلبه . تجرع ذلك السم ولم ينبس ببنت شفة وأسلم الروح وضحى بها ، سرى السُّم فيه وأطاح به ذلك الذى هو

(١٢٧) أى المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(١٢٨) الإمام علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه .

(١٢٩) أى والدته فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فلذة كبد الرسول . وهرب الدم من كبده رويداً رويداً حتى فاضت روحه . وكل مَنْ رأى احمرار مكانه من دماء روحه ، إلتاعَتْ نفسُه حسرة وتخضبت روحه ألماً .

فى فضيلة الحسين رضي الله عنه (ص ٣٧)

من هو ؟ إنه ولى الحقّ والرسول ، ذلك الحسن السيرة الحسين بن على ، شمس سماء المعرفة ، هو " محمد " فى الصورة و " حيدر " فى الصفة ، الأفلاك التسعة تحت إمرته حتى الأبد ؛ فهو سلطان العَشَرَة المعصومين من الخطأ ، قرة العين الإمام المجتبى ، درّة " الزهراء " شهيد كربلاء ، روى السيفُ ضماه بدمه ، فصار أثناء قتله حائراً فى دمه ، ما إن أطاح برأسه هكذا دون شفقة حتى توارت الشمس خلف الحجاب تألما لذلك ، حتى تلطخت ضفيرتُه بالدم ، وتصفى دم الفلك من الشفق ، كيف يفعل هؤلاء الكافرون معه كلّ ذلك ؟ إنه " محمد " إنه " علىّ " إنه " فاطمة " ، مئات الآلاف من الأرواح المطهرة للأنبياء ، رأيتهم متصافين على تراب كربلاء ، أطاحوا برأسه صادى الكبد فى صيف كربلاء القائظ ، وهل يوجد ما هو أسوأ من ذلك ، يفعلون ذلك مع فلذة كبد النبى ثم يدّعون أن هذا عدل وإيمان فكلُّ من يعدّ هذا إيمانًا يصيبنى بالكفر ، فليقطع لسان من يعد هذا من آخره ، وكل من شهر فى وجهه سيفًا، سوف تصيب هذا الأحمق لعنتى من قبل الحقِّ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ياليتنى كنتُ كلبًا تابعًا له ، أو كنتُ أقل كلب فى حيّة، أو كنتُ ماءً لاضطرابه ، أو كنتُ شرابًا فى كبده .

فى التعصب (ص ٣٧ - ٣٨)

يا مَنْ أحكمتَ على نفسك قيد التعصب ، كم تقول بعد سبعين ونيف ؟ سبعمائة ملة فى سلامة منك ، لكن اثنين وسبعين مليئة بالعلَّة منك[١٣٠] . تخرج المذاهبُ والطرق والملل عن الحصر، ولن تجد وقتًا لأجل حصرها ، لن يتسنى التشكل كلّ لحظة بطبع مختلف ولا يمكن إجبار أحد بالسيف ، أنت واحد فاذهبْ دون شك فى طريق واحد ، طالما أن الواحد فى واحد يكون واحدًا . لا تكنْ متعصبًا ومقلِّدًا ، احرقْ الشرك وأغرقْ فى التوحيد . طالما أنت موجود فكنْ بعيد النظر واعلمْ السّر ، ثم عدّ الطبيعة انعكاسا من الشريعة ، طالما تتبع " الصدِّيق " أو " عليًا " فذلك عالم التحقيق ، فحينما تكون على التقليد فكنْ متوائمًا ، فأنىَّ لك أن تعرف الشرع من الطبع ثانية ؟ إذا ما تسلك خطى التقليد ستكون جامدًا ولن تساوى شيئًا . كيف يسير أتان على الشريعة ؟ أو يسير سوى على الطبيعة متى تيسر له السير ؟ فالأتان الذى يتبع أمه فقط ، فحينما يسير على التقليد فلأن الحمار

(١٣٠) ذكر المحقق فى حاشية (١) ص ٣٧ فى المنظومة نقلا عن سفينة البحار أنه إشارة إلى حديث نبوى هو " إنّ أمتى ستفترق بعدى على ثلاثة وسبعين فرقة منها ناجية واثنتان وسبعون فى النار " .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أيضًا يسير عليه . حينما غرق الصحابة فى التوحيد فإنهم لم يتجهوا مثلك صوب التقليد ، لو أنك تفرق بينهم فإنك تطفئ المصابيح الأربعة[١٣١] . ولأن الصحابة كلهم نجباء ، فإنهم قد صاروا فى الهداية كالنجوم[١٣٢]. إذا ما طعن شخص واحد من هؤلاء القوم الأطهار ، فإنه يكون قد نثر التراب على النجوم . إذا ما كانت النجوم ستمضى واحدا تلو الآخر ، فإنهم سيمضون كلهم فى نهاية الأمر فى الفلك ، وحينما يشرق كل واحد منهم فى الفلك ، فإنهم يرشدون ويدلّون طالما يعيشون ، يهبون النور ويطهرون العالم ، فإذا ما كنت أعمى فلن ترى أى طهر فيه .

١ - الحكاية والتمثيل (ص ٣٨ - ٤٠)

كان هنالك رجلٌ صالح وكان متعلقا بزوجته ، قد جلس يوما أمام "ركن الدين آكافى"[١٣٣] وأخذ ينتحب بشدة متألما من أفعالها وقال : أنا لا أقوى على الحياة بدونها للحظة واحدة ، ولا أقدر على طلاقها

(١٣١) أى الخلفاء الأربعة الراشدين .

(١٣٢) إشارة إلى حديث الرسول . "أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم" . رواه البيهقى وأسنده الديلمى عن ابن عباس (العجلونى : كشف الخفاء ١٤٧ / ١) .

(١٣٣) هو ركن الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الصمد بن أحمد بن على آكاف النيسابورى الذى كان من فقهاء وزهاد عصر السلطان سنجر السلجوقى . وقد توفى عام ٥٤٩ هـ . (انظر تعليقات القاضى طباطبائى على منطق الطير ص ٣٢٩ - ٣٣٠ . طهران ١٣٤٧ ش) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

أو فراقها ، ذلك لأن روحى حية بطلعتها ورونقى يزداد بدلالها ونعومتها ، لكنها تخالف الشرع والسنة ؛ لأنها دائمًا ما تلعن " أبا بكر " رضى الله عنه ، فإذا ما نهرتها بعنف دائمًا ، فلن تكف عن هذا لسوء بَخْتِى ، وأنا لا أقدر على منعها عن ذلك يومًا ، كما لا أقوى على سماع هذا القول منها أيضًا ، فلو تخضب قلبى منها دمًا فهذا حقه ؛ فماذا أنا صانع أمام هاتين المعضلتين ؟ قال السيد : أيها الرجل ، إنْ آلمتها ، فسوف تزداد حيرة وعناداً . ماذا لو تخبرها بأسرار من لطفه ، وأن لسانه لم ينطق بفاحشة مطلقًا ؛ فهم الذين قد اعتقدوا فيه اعتقاداً خاطئًا وهم الذين قد نقلوا عنه نقولات باطلة . وهم الذين قد قالوا مجازًا إن " أبا بكر " قد ظلم، وأنه حجب الحقّ عن أصحاب الحقّ ، وأنه منع الأمر عن آل البيت، وأنه انتزع الخلافة بالباطل ، وأنه استولى على المُلك عن رغبة فيه وشهوة وجلس مكان النبى عن غير حقّ . فمَنْ علم حقًا أن أبا بكر هكذا فسوف يبيح اللعنة على أبى بكر هكذا بكثرة ، ونحن أيضًا نلعنه معه بل ونكثر منها فى كل وقت أيضًا ؛ فلو كان أبو بكر على هذه الشاكلة فلن يكون " أبو بكر " بل أبو مكر . فلو تصير عدواً لأبى بكر هكذا ولو تستضيئه بعين معتمة ، لكن أبا بكر حينما جاء صدِّيقًا جاءت روحه بحراً للتحقيق ؛ فالصبح الصادق من نفس روحه الوالهة ، وتخرج الشمس من عباءة أيامه . صدْقُه ديوان السموات السبع ، قُدسه شاملٌ لكلا العالمين ، ليس لروحه الطاهرة مثيل فى كلا العالمين ، وليس ثمة اعوجاج أو انحراف فى روحه لذرّة ،

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأبو بكر هو ما أقوله عنه وليس ما يقال عنه فلا تسل عن الأحباب من الأعداء، فلو تفوهتْ ضغمةٌ باغية عنه بسوء ؛ فما قالوا فى حقّه إن هو إلاّ زور وبُهتان . هذا أبو بكر الذى يسير على السُّنة فإن لم يكن هكذا فعليه اللعنة ؛ فلو تتحدث هكذا مع زوجتك فستئوب إلى رشدها وستكف عن المعاصى فى حقّ أبى بكر ، فسعد الرجل أيما سعادة وأسرّ لزوجته فتابت وأنابت، ولم تعد لذلك الطريق ثانية .

لقد اختاره من بين الصحابة ثلاثةٌ وثلاثون ألفًا من أعماقهم ، فكيف له أن يتقيد بالعزّة والجاه ، والعزة والجاه كلّه لله ، فذلك الذى قد فرغ قلبه من العرش والمُلك لا شك أنه قد فرغ أيضا من " فدك "(١٣٤) .

٢ - الحكاية والتمثيل (ص ٤٠ - ٤١)

أسرعت السيدة " فاطمة " سيدة نساء أهل الجنة صوب سيد المرسلين ﷺ فى خلوته ، وقالت له : هلاّ صلتنى بخادمة واحدة ، فقد أصاب حجر الرحى يدى بالبثور ، فتُخَفِّفَ من معاناتى مع هذا

(١٣٤) " فدك " كما ذكر المحقق فى تعليقاته على المنظومة ص ٤٦٥ قرية أو حديقة فى خيبر قد أهداها الرسول ﷺ إلى فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحجر ، ما أشد ما أصابنى منه . فأنا كحبة ذرّة أدور بين حجرى الرحى. فواعجبا ، فتلك الساعة تعد لدن "سيد العصر" غنيمة لا تحصى . فما كان منه إلا أن بسط يديه ولم يكن قد ترك شيئًا يهبه " لفاطمة " . وعلَّمها دعاء جميلا وعزيزًا وقال : هذا الدعاء أفضل لك من كل شىء ، فحينما لا نورث نحن الأنبياء[١٣٥] ، فلا تصعبى الأمر علينا كثيراً ، حذار لما تقولينه سواء أكان ظلما أو لم يكن ، أو كان الدين كله شفقة أو لم يكن .

فذلك الذى جاء الفقر فخره أيها العزيز ، أنَّى له أن يترك شيئًا لأى شخص ؛ فالدنيا على سبيل المجاز عدو للحق ، فكيف يُترك عدو للحقّ للحبيب أيضا ؟ لو تملك أيها الغائب عن نفسك ناصية الدين ، فليس هذا طريق الدين ، فاتركه . اجعلْ دينك لأجل خلاصك ، واجعلْ ألمك الخاص فى كلا العالمين ، فلا شك أن الحرص هنا من الدين ولو كان فى " فدك " الصدِّيقة أيضًا ، لو يأخذ ألمُ الحقِّ بتلابيب روحك ، فأنَّى لهذا التعصب أن يأخذ بخناقك ، يكفيك أُنْسُ الحضرة مبهجة ومنعشة لك، ويكفيك الله تعالى طالما أنت موجود .

(١٣٥) يرى المحقق ص ٤٠ حاشية (١) أنه إشارة إلى حديث : " نحن معاشر الأنبياء لا نورث " .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣ - الحكاية والتمثيل (ص ٤١)

سأل عارفٌ كوفيا : ما مذهبك ؟ أخبرنى ، فقال الكوفى : يا كاره اللقاء ليكـــن بقـــاء مَنْ يسـأل دائما مع إلهى .

فى الصفات[١٣٦] (ص ٤١ - ٤٦)

١ - **ما العشق ؟** هو جعل القطرة بحراً والعقل نعل حذاء له .

٢ - **ما الفكر ؟** هـو حلُّ الأسرار الكليـة وصيرورة اقتـلاع الجبل فى القلب كالخردلة .

٣ - **ما الذوق ؟** هو الاطلاع على المعنى (الحقـيقة) لا بالتـقوى ولا بالفتوى .

٤ - **ما الصحو ؟** هو السلوك (السفر) منه إليه ثم تنزيهه منه .

٥ - **ما المحو ؟** هو المجىء منه بدونك ثم المجىء من كليهما أيضًا فقيراً .

٦ - **ما الوَجْد ؟** هو السعـادة بالصبح الصـادق ومجىء النار فى غياب الشمس .

(١٣٦) هذه التعريفات خـاصة بالشاعر " فريد الدين العطار " وبفهمه التـصوفى الخاص به ، قد تتفق مع بعض تعـريفات الصوفـية الآخرين فى مـقاماتهم وأحـوالهم ومعامـلاتهم وقد لا تتفق . ولكن الظاهر أن أسلوب الشاعرية يغلب فيها عند "العطار" على أسلوب الصوفية .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧ - **ما الفقد؟** هو المجيء من الصباح حتى المساء والوقوع في الشرك من عشقه.

٨ - **ما العيب ؟** هو جعل العين حجابًا وكونك حيًا مَيتًا .

٩ - **ما الشكر ؟** هو تخيل الورد في الشوك وتخيل الجزء كلاً غير مرئي .

١٠ - **ما العين ؟** هو المجيء بمرآتك والاقتراب منه بدونك .

١١ - **ما الشوق ؟** هو الخروج عن النفس والمجيء على رائحة المسك في الدم .

١٢ - **ما اللطف ؟** هو صيرورة الذرَّة من الذَّرة والاغترار بعذر أقل من الذرة .

١٣ - **ما القهر ؟** هو تخيل الفيل من النمل ، وتخيل البعوضة " جبريل " .

١٤ - **ما البَسْط ؟** هو الجنوح عن كلا العالمين والابتعاد عن مائة عالم آخر .

١٥ - **ما القبض ؟** هو جعل من الروح والقلب جسداً والمنزل في سمِّ الخياط .

١٦ - **ما القرب ؟** هو المضي في النار فإمَّا الاحتراق مثل الفراشة أو ما هو أفضل منه .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١٧ - **ما البُعد ؟** هو تخيل الروح فى الجسم وتخيل قعر جهنم سماءً .

١٨ - **ما الخوف ؟** هو التحرر من الأمن والمجىء إلى جنة عدن خاشعا .

١٩ - **ما العُمْر ؟** هو الخروج من الموت حيّا والموت الآن من بعد حياة .

٢٠ - **ما العيش ؟** هو صيرورة الموت فى الحياة ثم الاحتجاب قبل كل ألم .

٢١ - **ما الوقت ؟** هو المجىء من رأس شعرة واحدة ومواجهة مائة بلاء مثل شعرة .

٢٢ - **ما الحال ؟** هو التوارى عن النفس ثم قبولها مضطراً .

٢٣ - **ما الطريق ؟** هو إيجاد الملجأ من الروح واستلاب الطريق إلى الكنز .

٢٤ - **ما السَيْر ؟** هو الخروج من جزئه وتجاوز الذرة والمضى فى الفلك .

٢٥ - **ما الحُب ؟** هو النهوض من أمام الروح ونثر الروح أمام الحبيب .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢٦ - **ما الأُنس ؟** هو التحرر منه ومعرفته فى سويداء القلب .

٢٧ - **ما المحبَّة ؟** هى جعل الحجر سقاءً أو جعل كلا العالمين طفله .

٢٨ - **ما الوصل ؟** هو مجىء الوجود من العدم ثم الخروج ثملاً من كليهما .

٢٩ - **ما النفخة ؟** هى صيرورة إلا هو مِنْ لا هو ثم صيرورة كلا العالمين نافجة غزال واحد .

٣٠ - **ما الشرح ؟** هو التحقق من الغش والمجىء بالشعرة مثل القرع والأنبيق[١٣٧] .

٣١ - **ما الحياء ؟** هو عدم الامتزاج باللطف ورؤية ظله والهروب منه .

٣٢ - **ما الحيلة ؟**هى المجىء إلى العدم من الوجود ثم القناعة بأى شىء على الجملة .

٣٣ - **ما الجهد ؟** هو هراق البحر من العين ثم رفع التراب من الماء فى نسق .

(١٣٧) هى آلة معروفة تستخدم لتقطير السوائل (فرهنگ عميد) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣٤ - ما الجذبة ؟ هى صيرورة ذرة من نظرة واحدة والمضى إلى السّدرة[١٣٨] على جناح "جبريل" .

٣٥ - ما الجود ؟ هو المجىء بلا شىء من الجملة والمجىء بلا شىء فى الجملة بلا اعوجاج .

٣٦ - ما العدل ؟ هو طلب إنصافه وعدم طلب أى إنصاف من أحد .

٣٧ - ما الفضل؟ هو إنشاء محرم للأسرار وفناء الروح أمام الصنورة حتى الأبد.

٣٨ - ما الذوق ؟ هو امتلاك قطرة من وعده والانتظار على البحر الأعظم .

٣٩ - ما الأمر ؟ هو امتلاك الروح فى العبودية والسير فى المحو تدريجيا .

٤٠ - ما النهى ؟ هو المجىء من القِدم فى ألم والمجىء بغير النظر فى ولا غير .

٤١ - ما الحُسن ؟ هو انتقال الحيرة بالقدوة وصيرورتها فى الوجنة أنموذجا .

(١٣٨) أى سدرة المنتهى أى الوصول إلى مرحلة الفناء والبقاء بالفكر الصوفى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤٢ - **ما القبح ؟** هو مظاهرة المرآة والمجيء بإصبع واحد من الجسد كله .

٤٣ - **ما النفع ؟** هو تعلم الطريق من الشمع وإشعال الكل وإحراق النفس .

٤٤ - **ما الصبر ؟** هو الامتزاج بالنار والموت احتراقا وترك الكلّ .

٤٥ - **ما الجَد ؟** هو بذل الروح والقيام على الأمر باستمرار .

٤٦ - **ما الهزل ؟** هو إراقة ماء الفراسة وإسالة ماء الورد على النجاسة .

٤٧ - **ما السهو ؟** هو البقاء عاجزاً خلف الحجاب والبقاء تحت الأمطار والنوم مبتلاً .

٤٨ - **ما الحِلم ؟** هو المجيء من ذروة العرش والمجيء إلى الفرش أيضا بين كل المخلوقات .

٤٩ - **ما التوبة ؟** هى القيام بكلّ هذا جملة وضرب خيمة من هذا العالم فى ذلك العالم .

٥٠ - **ما السجدة ؟** هى اللجوء فى الطين من عارك والحصول على عرش الروح فى قلب الطين .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٥١ - **ما القصد ؟** هو جعل العمى فى العين وجعل إنسان العين ممر نملة .

٥٢ - **ما الحج ؟** هو الخروج عن القَدم والرأس وطلب كعبة القلب والتخضب فى الدم .

٥٣ - **ما العفو ؟** هو رفع محنة الروح والاعتقاد أن جرم الخلق جرمك .

٥٤ - **ما الكبر ؟** هو طحن الماء من الهاون وإبراز الإنيّة على الحبيب والعدو .

٥٥ - **ما العُجب ؟** هو صهر الحديد من الحرارة وتعليم الشيطان الأبلسة .

٥٦ - **ما الحرب ؟** هى السيطرة على الروح وجعل كل رأس شعرة سنانا .

٥٧ - **ما الصلح ؟** هو الاختفاء عن ذاتك وصيرورة الظل حُسنًا وسوءًا على حد سواء .

٥٨ - **ما الغضب ؟** هو الاختيال بالنفس وجعل جهنم للسفلة .

٥٩ - **ما الحقد ؟** هو جعل الصدر سجنا وإخفاء الثعابين فى حقّته .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦٠ - **ما البخل ؟** هو الموت ظمأ مع الغوص فى البحر مثل "مالك الحزين"(١٣٩) .

٦١ - **ما الجُبن ؟** هو الذبول فى الظل والضمور مثل البرعومة فى لحظة .

٦٢ - **ما المكر ؟** هو بث السمّ فى الحلو وحينئذ يؤكل الحلو من العشق .

٦٣ - **ما الأمن ؟** هو نزع الطمع عن الروح ، ورؤيتها بلا روح كالظل .

٦٤ - **ما الذل ؟** هو التطهر من النفس والسقوط تحت أقدام الكلب مثل التراب ذُلاً

٦٥ - **ما العز ؟** هو دورانك فى الحُسن ورؤيتك فى عزّتك .

٦٦ - **ما الصدق ؟** هو الوجود أفضل فى صدق والوجود فى قوس كله حُسن .

٦٧ - **ما الكذب ؟** هو فوران الفقاقيع فى الثلج وإخفاء السهم فى القوس .

(١٣٩) اسم طائر يعيش على شاطئ البحر وهو آكل للسمك ويقال إنه مع شدة ظمأه لا يشرب الماء ، ويضرب به المثل على شدة البخل (فرهنگك عميد ص ٢١٣) .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٦٨ - **ما الحرص ؟** هو الاحتفاظ بالتراب جهلا وحينما يصبح جبلا يكون الموت أسفله .

٦٩ - **ما الذنب ؟** هو الحيدة عن الطريق وطي المسك مع النجاسة .

٧٠ - **ما القطع ؟** هو السقوط من الروح إلى أسفل وسقوط الزجاج من يد الطفل .

٧١ - **ما الحدس ؟** هو رؤية اللّه فى الأصل ورؤية صبح المعرفة بصدق .

٧٢ - **ما الطبع ؟** هو الهبوط من طين إلى طين والوقوف على نسق واحد مثل الحمار .

٧٣ - **ما اليأس ؟** هو تكدير المهمومين والانقطاع أيضًا عن كل الأحياء .

٧٤ - **ما الضعف ؟** هو الهبوط أسفل من الضعف وإعطاء قوة الفيل إلى نملة .

٧٥ - **ما الكشف ؟** هو القفز من التراب فى الدم والقفز من داخل الحجاب إلى خارجه .

٧٦ - **ما البِر ؟** هو موتك ظمأ وجعل الإحسان سرابًا للكل .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٧٧ - **ما الوعظ ؟** هو إظهار النبع من الجبل وإعطاء قولك تطبيقا له .

٧٨ - **ما الصمت؟** هو القفز من شرك الوجود وإغلاق كلا الشفتين عن ما سوى الله .

٧٩ - **ما الخُلق ؟** هو الجعل من التراب مفرشًا واستحسان منادمة الكلاب .

٨٠ - **ما الربح ؟** هو الدوران من القيد المطلق والفناء عن النفس والبقاء بالحق .

٨١ - **ما الخسارة ؟** هى سحق الجوهر جهلا والانشغال بالوجود لحظة واحدة .

٨٢ - **ما الصبر ؟** هو جعل الحديد خلاً وجعل الحديد فى العين وبَرا .

٨٣ - **ما الشكر ؟** هو رؤية الإنعام دائمًا ثم رؤية المُنعِم فى ذلك الإنعام .

٨٤ - **ما العلم ؟** جعل الذرة جبل قاف والطواف حوله حتى الأبد .

٨٥ - **ما الزهد ؟** هو الوجود فى حرية عن الدنيا فى حراسة طريق الآخرة .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٨٦ - **ما الفقر ؟** هو السلوك فى الفناء والتخلى عن كلا العالمين .

٨٧ - **ما الرياء ؟** هو الوجود من نقطة ساكنة والأمان من بلائها .

٨٨ - **ما الرزق ؟** هو إحضار السكر من السّم و إحضار السماء فى الوهق .

٨٩ - ما الجوع ؟ هو الطعام أصل العالمين والموت أنينًا من الجوع أيضا .

٩٠ - **ما الصوم ؟** هو التعلق ببلاط الغير والارتباط بالطريق من الوجود ومن العدم .

٩١ - **ما الفرق ؟** هو الاتصال بالدنيا والتعلق بشىء فى الروح تدريجيا .

٩٢ - **ما الذكر ؟** هو الإتيان بالدواء من الداء وحمل النقد على الروح على باب القلب .

٩٣ - **ما القِبْلة ؟** هى رؤية الآيات الكبرى ورؤية وجه المولى تدريجيا .

٩٤ - **ما الكَعبة ؟** هى السقوط فى الجوار والظهور لك بك فى نافجة العالم .

٩٥ - **ما الزاد ؟** هو الامتلاء من كل الكل ثم السلوك خاليًا من أى شىء .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٩٦ - ما الكلام ؟ هو القول شيئًا عن الألم والتحلِّ بالبطولة أمام الفُجْر .

٩٧ - ما القال ؟ هو الطعام من قشر الزيت والشراب من الوعاء بالماء الصافى .

٩٨ - ما الحيلة ؟ هو البحث عن العزم فى العقل ووصل القطن والحديد بعضهما ببعض .

٩٩ - ما الغُصَّة ؟ هى عدم رؤية الطريق من العمى وعدم رؤية الثلج الأسود فى سقر .

١٠٠ - ما القصة ؟ هى الاضطراب من المُشْكِل وقول ذلك الذى لا يمكن قوله مطلقًا .

١٠١ - ما الشعر ؟ هو فتح الباب لهذا كلِّه وإعطاء شروح عديدة عجيبة .

مع أن هذا المكان كان مجال السرّ ، فليس من المصلحة البوح بالأسرار ، وأنا قد اختصرت فى هذا على مائة بيت ، ذلك لأننى لو أفضتُ فسيصل إلى ألف ، لأنه لكل قلب قدر معلوم ، فإن الأخريات ستصير أنعم من الشمع ، وحيث إن صفات الطريق لا نهاية لها ، فليس فى الإمكان البوح بأكثر من هذا .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يقول فى الشعر (ص ٤٦)

خُلِقَ الشعرُ والعرش والشرع من مادة واحدة ، كى يتزين العالمان من هذه الكلمات الثلاث ، حينما استمدت الأرض من السماء نورَها ، صار من هذه الكلمات الثلاث صفة واحدة للعالمين كليهما ، إن الشمس ولو صارت سماوية ، صار أمثال "سنائى"(١٤٠) فى السَّنا ، من كمال الشعر وشوق الشاعرية ، انظرْ الفلكَ بين "الأزرقى"(١٤١) و"الأنورى"(١٤٢) افتحْ العين ومن الشعر الذى هو كالسكر انظرْ "الفردوسى"(١٤٣) من فردوس عدن ، انظر الشعر فى إقبال "جمشيد" انظرْ الشمس "شمسى"(١٤٤) و "خورشيد" ، وإن تنظر من فوق صوب

(١٤٠) هو حكيم أبو المجد مجدود بن آدم من شعراء القرن السادس الهجرى العظام ومن كبار شعراء التصوف ت ٥٤٥ هـ .

(١٤١) هو أبو بكر زين الدين بن إسماعيل وراق الهروى من شعراء القرن الخامس المشهورين ت ٤٦٥ هـ .

(١٤٢) هو أوحد الدين محمد بن محمد الأنورى الملقب بحجة الحق من كبار شعراء القرن السادس الهجرى ت ٥٨٣هـ وهو من كبار شعراء فن "القصيد" .

(١٤٣) هو أبو القاسم حسن الفردوسى شاعر فن الحماسة الكبير ت ٤١٦هـ وصاحب الشاهنامة (٦٠,٠٠٠ بيت من الشعر) وهو من كبار شعراء العصر الغزنوى وله حكاية مشهورة مع السلطان محمود الغزنوى عن الشاهنامة تزخر بها كتب التذاكر .

(١٤٤) هو شمس الدين محمد عبد الكريم الطبسى من شعراء القرن السادس ت ٦٢٦هـ ، وهو من شعراء ما وراء النهر وكان معاصراً للخاقانى .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الأركان ، فسوف ترى "الشهابى"[١٤٥] و "العنصرى"[١٤٦] وإنْ تحصل لك رغبة فى هذا العلم فى الملوكية ، فإن يكن العلمُ فى الصين[١٤٧] فحسبك "الخاقانى"[١٤٨] .

وإذْ إنَّ الجنَّة والسماء والشمس كالعناصر : الهواء والنار والتراب والماء ، لها نسبة مع هؤلاء الشعراء ؛ فالدنيا إذن شاعرة كالآخرين .

١ - الحكاية والتمثيل (ص ٤٦ - ٤٧)

تحلّق أهلُ الفضل يومًا ، وأدلى كلٌّ واحد منهم بدلوه فيما لديه من حديث ، حتى وصل الحديث بهم إلى الشعر والشاعرية ، وكان كلٌّ واحد منهم يلغو بحديثه ، وانبروا فى مدح الشعر وذمّه وطال بهم

(١٤٥) هو : شهاب الدين أحمد بن مؤيد نسفى سمرقندى من شعراء القرن السادس وكان من شعراء بلاد ما وراء النهر ، وكان معاصراً للسوزنى وتبادلا الهجائيات .

(١٤٦) هو : أبو القاسم حسن العنصرى ت ٤٣١هـ من شعراء فن القصيد العظام فى العصر الغزنوى ومن مادحى السلطان محمود الغزنوى .

(١٤٧) إشارة إلى قول الرسول : " اطلبوا العلم ولو بالصين " الجامع الصغير ١٤٣/ ١ .

(١٤٨) هو : فضل الدين أبو بديل بن على الخاقانى ت ٥٩٥هـ من الشعراء الإيرانيين العظام وتخلص بالخاقانى نسبة بالخاقان الأكبر منوجهر بن فريدون شروانشاه ومن أشهر أعماله مثنوى "تحفة العراقين" .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الحديث فى هـذين الأمرين ؛ فقـدم عليهم أبو مـحمـد بن الخازن[١٤٩] وعرض فكره فى كـمال الشـعر ، وقال : الشـعر كلام مـوزون وأيضًا جميل وهو فى الحقيـقة أحسن الأشياء ، ذلك لأنّ الكذب الذى يدخل فى كلِّ شىء يجعل ذلك الشىء قـبيحًا حتى النهـاية ويقال إن الكذب يجعل الشىء الحسن فى الحال قبيـحًا حتى ولو كـان فى حسنه أطيب من الجنة ، فإذا صـار الكذب فى الشعـر صريحا فـإنه يصيـر فى جوار الشعر مثل المعشـوق ، ذلك لأنه يصير بالكذب هكذا حسنًا ويليق به ؛ إذ يصيـر به أحسن الأشياء . فـذلك الذى يصير الكذب منه عـذبا فإنَّ صـدقه يارب يكون مـثل الشـعاع حـينما سـمع أهل الفـضل منه هذا الدليل ، اتفقوا مـعه جميعـا ، واعتبروا أن الشعـر أفضل شىء ، وصار لديهم فى أعلى مقام .

حينمـا صار الشعـرُ فى عصرنا سـيئ السمعـة ، مضى الحكمـاء وبقى الحمقى ، فلا جرم أن الحديث ليس له قيمة الآن ، المـدح منسوخ والوقت وقـت النظم فى الحـكمـة . انتـزعنـى القلبُ عن المـنسـوخ والممدوح ، واقـتلع ظلمة المـمـدوح من روحى ، الحكمة فـقط ممدوحى إلى الأبد ، وفى أعماقى هذا القصد فقط .

(١٤٩) هو شاعر ومترسل شهير وهو أصـفهانى ومن خواص الصاحب بن عباد وأتبـاعه ورثاه بعد وفـاته بمرثيـة نقلها الثعالبى فى يتيمة الدهر .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٢ - الحكاية والتمثيل (ص ٤٧ - ٤٩)

هكذا قال "إمام الدين" من أنَّ القرب هو قربُ الله ، لا يحصل عليه أحدٌ فى الدنيا من أهل اللطف والطبع فى الظاهر والباطن ؛ فكلُّ كلام يخرج من أفواههم ، يخرج - بدوره - موزونا من أفواه الشعراء ، فذلك الذى هو قائد الأنبياء(١٥٠) قد قال فى شأن الشعراء ، يكون للحقِّ تعالى كنوزٌ لا تحصى ولا يعلمون سراً واحدا من ألف منها ، وأيضًا القوافى التى هى عذبة ومتساوية تكون فى القرآن بكثرة(١٥١) ، إذا لم يكن للقوافى رواج ، فما سرُّ وجودها تاجا على رأس كلِّ خطبة ؟ النظم والنثر الذى هو بين الناس ، يكون له سرُّه بالقوافى ، إذا لم ينشد الرسولُ الشعرَ حقا ، وإذا لم يكن المَلِكُ نسَّاجًا حقا ؛ فكيف كان اليهود يدعونه بالساحر؟ والوثنيون يلقبونه بالشاعر ؟ فقال "الحقُّ" تعالى وقوله الحق : إنه فى الحقيقة ليس بساحر(١٥٢) ولا بشاعر(١٥٣) ؛ فالشاعر لدى النبى مثل الحجّام لدى الاسكندر ، فذلك الذى يكون كلا الكونين لديه مجرد حَبَّة شعير ، فما لحَبَّة الشعير مع البيدر ؟

(١٥٠) يقصد محمداً ﷺ .

(١٥١) يقصد بها الفواصل القرآنية التى تنتهى بها كل آية قرآنية .

(١٥٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾ [سورة يونس آية ٢] .

(١٥٣) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ [سورة يس آية ٦٩] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فحينما قال " الحقُّ " تعالى إنه ليس بشاعر فهو لم يكن منهم ، مع أنه لا يلعب على فصاحته ، فهو عند العرب وعند العجم أفصح الفصحاء فى كل الأمم(١٥٤) فنطقه يلجم الشعراء ويجعلون كلامه حلقة فى آذانهم ، فيصير أهل الفصاحة أمامه أهل عيى ، ويصبح ظرفاء العالم أمامه تافهين ، فقد أعاد القول على "جبريل" : أيها المحترم ، ما أنا بقارىء " ، ولم يكنْ ، ولا جرم فى ذلك . لقد كان كلا العالمين ترابا تحت أقدامه ، مع أنه لم يكن قارئا ولا شاعراً ، فأىّ ضَيْر فى ذلك ؟ .

يأتى الشعرُ من الطبع وأنىَّ للأنبياء ذلك الطبع مثل الشعراء ، أنىَّ لروح القدس تلك الطبيعة ، وأنىَّ للأنبياء سوى الشريعة يأتى فى الكلام الكثرة والقلّة ولويوزن يصبح بلا شك كلامًا موزونًا . وقرض الشعر كصناعة الذهب ، حينما يأتون به فى العروض يكون موزونا،لكن ذلك الشخص الذى لديه ذهب بكثرة ، أنَّى له أن يزنه ؟ فلو يزن الذهب يكون ذهبا موزونًا ، وإن زاد ، فعليه أن يزيد فى الوزن . وحينما لا يسع الميزانُ الذهبَ لكثرته ، فكيف يزن أحدٌ الذهب الكثير ؟ الذهب الكثير لا يوزن فما العمل إذن ؟ كيف يتسنى وزنه حينما يكون كثيرا ؟ ولأن الرسول هو سيد الأسرار ؛ فاللائق أن يكون لديه كلام كثير . ولأنه لا يزن ذهبه ، فهكذا يخرج من صدره غير موزون(١٥٥) .

(١٥٤) إشارة إلى الحديث النبوى :"~~أنا~~ أفصح من نطق الضاد "أو" أنا أفصح العرب والعجم " محقق المنظومة حاشية (٣) ص ٤٨ .

(١٥٥) ذلك لأنه ليس بشاعر يزن الشعر ويقرضه ، بل هو حامل للرسالة السماوية إلى الناس فقط .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

لو يهب الرجل الكريم الذهب موزونا ، فإذا ما كان موزونًا يكون سليما ، وحينما يكون الذهب غير موزون فإنه يكون خامًا ، ولو قلت كلامًا موزونًا يكون كلامك أيضًا موزونًا . فمَنْ يكون أطيب قولاً من "حاتم الطائى"(١٥٦) ؟ لكن حُسنه طوى عنه فراش البخل ، يكفى أن يكون للمَلك ساعدٌ فَتِىٌّ ، لكن الأفضل لهذا الساعد أن يكون ناثر الذهب .

٣ - الحكاية والتمثيل (ص ٤٩)

قيل إن أحد الأمراء يومًا قد دَعى أمام أبيه حاجبًا كان يقف على بابه ، وقال له : انهضْ أيها الغلام . ماذا تعمل هنا ؟ ، هيا اشترِ الآن للحمار بنصف حبة ذهب علفا (نبات الكرات)، فقال له المَلكُ : أيها المُدْبر والتافه، أنت بخيل ولا يأتى منك سواه . المَلكُ الذى يفكر فى نصف حبة شعير ، أحرى به أن يمتهن مهنة بيع الكرّات ؛ فمَنْ له دراية بهذا القدر ، فكيف تليق به الملوكية؟

(١٥٦) أحد شعراء العرب الكبار وأشتهر بين الناس بشدة كرمه حتى أنه يقال فى المثل : أكرم من حاتم . وهو من قبيلة طى وكان معاصرا للنابغة الذبيانى : وهو شاعر جاهلى أدرك ولادة الرسول لكنه مات قبل أن يُبعث .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٤ - الحكاية والتمثيل (ص ٤٩ - ٥٠)

" المصطفى " ﷺ الذى كان لروحه هذا القدر من الحُبّ ، شيّد منبراً لـ" حسّان "(١٥٧) تقديراً له ، وجعله يصعد المنبر صباحًا حتى ينشد عليه أشعاره ، فتارة يثنى عليه وأخرى يستحسن قوله وتارة ثالثة يطلب منه شعراً آخر .

انظروا أيها المنكرون الجاحدون ، لماذا شيَّد " المصطفى " المنبر ؟ لقد قال لـ" حسّان " من فرط إحسانه وكرمه : إنّ جبريل الأمين معك أيضًا(١٥٨) . سيد الدنيا والدين شمع الكرام كان يدعو الشعراء بأمراء الكلام ، كيف لا يكون للشعر خلودٌ زائدٌ، وقد قال عنه : أصدق قول العرب قول "لبيد"(١٥٩) . لقد قال" المصطفى " إن الشعر المظفر يعد مثل الفنون الأخرى ، فقبحه قبيح وحسنه حسن ، قبحه للعدو وحسنه للصديق . وكان يطلب الشعر من "أبى بكر" و "عمر" ، وكان "علىّ" المرتضى أشعر منهما . وكان "الحسين" و "الحسن" يردّدان نظم

(١٥٧) هو حسّان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ .

(١٥٨) إشارة إلى قول الرسول لحسّان بن ثابت ليردّ على هجوم شعراء قريش عليه : " اهجهم يإحسّان وروح القدس تؤيدك" .

(١٥٩) ورد عن الرسول أنه قال أصدق كلام العرب قول "لبيد" :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكلّ نعيم لا محالة زائل

ثم قال : إلا نعيم الجنة لا يزول .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

"حسَّان" والأشعار الحسنة[١٦٠] ، وكان "للشافعى" ديوان شعر ، وكان لسائر الأئمة الآخرين أشعارٌ أيضًا.

الشعر إذا كان حكمة وطاعة يزداد قَدرُه كل يوم وكل ساعة ، الشعر يركن إلى الحكمة لأنه يجد لنفسه طريقًا من خلال "يؤتى الحكمة "[١٦١]. شعر المديح والهزل ليس بشعر مطلقًا ؛ فما أفضل شعر الحكمة الذى ليس فيه التواء.

٥ - الحكاية والتمثيل (ص ٥٠ - ٥١)

كان فى عهد "عمر" رضي الله عنه رجل قوى ، حينما كان يؤدى الصلاة المفروضة كان يجمع الخلق حوله وينشد الأشعار بعذوبة عليهم فى المحراب ، وكان إنشاده للشعر يكون بعد الصلاة حتى أَخْبَر المنكرون لفعله "الفاروقَ" بذلك فقال : خذونى إليه فى التوّ واللحظة . ففعل الناس ذلك فى النهاية ، وما إنْ رأى الرجلُ "عمرَ" حتى هبَّ من مكانه وأخذ براحته وأجلسه أمامه . فقال له " الفاروق " ": أتقرأ بعد الصلاة أشعاراً جذابة آسرة ؟ قال الرجل . يأتينى شىء من الغيب

(١٦٠) ربما يقصد المفضل لديه من الشعر .

(١٦١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة البقرة آية ٢٦٩] .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فأتلوه هكـذا دون عيب. فقـال " عمر ": اقـرأ ، فبدأ الـرجلُ فى إنشاد الشعر ، وحلَّق طائرُ قلب " الفاروق " عاليا . وكان شعر الرجل فى ذمِّ نفسه ، وكـانت حكمته لطيفة ثاقبـة . واشتدت سعادة " عمـر " بشعره فـحـفظه ورددَّه عليـه ثانيـة ، قـال : هذا الشـعر الذى تـلوتَه علىَّ بالغ الروعة ، وأخذ " عمرُ " رضي الله عنه يردِّده باستمرار .

طالمـا تقدر على شعر كهذا ، فيلزمك الجهد لإنشاده على الناس . أنت الذى تنشد الشعـر الحسن والشعر السيئ ، فلو تجعل الحـسنَ سيئًا فأنت تفعل سوءًا .

٦ - الحكـاية والتمثيل (ص ٥١)

كـان "الأصمـعى"(١٦٢) يمـضى فى طريق راكـبًا ، فـرأى كنَّاسًـا منهـمكًا فى عمـله ، وكان يقـول لنفـسه : أيتـها النفس الـنفيـسة لقـد حـررتُك من الأعمـال الخسـيسـة ، لطالما أعتـزُ بك دائمًا وأحـفظ لك حُسن السمعة ؛ فقـال له "الأصمعى" : لا تقلْ هذا مرة أخرى ، لا تقلْ هذا الكلام فى هذا هنا أيها المسكين ، فما دمتَ تعمل فى النجاسة فأى

(١٦٢) هو أبو سعيد عـبد الملك بن إصمع البصرى البغدادى نحـوى ولغوى وينتسب إلى جدّه الأصمعى العـالم النحوى المشـهـور . توفى عام ٢١٥ هـ (تراجم أعلام مصيبت نامه ص ٣٩٣).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

وضاعة أكثر من ذلك الذى أنت فيه فى الدنيا ؟ قال : الذى يوقعنى فى ذلَّة أكثر هو أنْ أقف على باب مثل بابك ؛ فكلُّ من يكون أمام الخلق خادما ، يكون عملى هذا أفضل منه مائة مرة .

مع أن الطريق ليس فيه سوى جَزَّ رأسى، إلا أننى لا أحمل المنَّة لأحد فى عنقى .

٧ - الحكاية والتمثيل (ص ٥١ - ٥٢)

قيل إنّ "سقراط" الحكيم ذلك الرجلُ الطاهر كان يسير فى طريق مترجِّلاً ومتألمًا من ذلك فسأله شخص : إنَّ ملوكَ العصر جميعًا يسعون إليك وأنت بعيد عنهم ، والكل يعتقد كثيرا أنَّ لك أن تطلب جواداً حتى لا تقطع الطريقَ مترجّلاً فقال "سقراط" إنَّ حَمْلى لجسدى على قَدَمَىَّ أفضل من حَمْلى المنَّةَ على كاهلى.

مع أنَّ مَنْ يطلب فى العالم هو واحد، فإنّ راحة البال بلا شك أفضل من ذلك بكثير . مع أنَّ لى بلاغة فى الحديث ، فإن تلك البلاغة تكون لى فى راحة البال، إذا ما صرتُ محيِّرًا لكل جاهل فأنا أبقى لا بالبلاغة ولا بالشعر الفصيح. مع أنَّ للمَلك منصبًا كمنصب " الإسكندر" عاليًا إلا أنَّ عبوديةَ المنصب حماقةٌ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٨ - الحكاية والتمثيل (ص ٥٢ - ٥٣)

ذهب أحدُ الملوك فى رحلة صيد إلى جبل، وكان " بقراط" يقبع فى ذلك الوقت فى ركن من الغار، وكان يأكل العُشْبَ مثل حيوان بمتعة، وكان يتلفتُ صوب كل ناحية بكل سعادة . فرآه أحدُ حشم المَلك فى طريقه فقال له: إن المَلك منذ فترة يرسل فى طلبك حتى تكون جليسه ليل نهار وأنت تهرب منه ولا تجدّ فى طلبه، أنىَّ للنفس القانعة أنْ تتسول وهى فى الحقيقية مَلكةٌ متوَّجةٌ؟ فقال "بقراط" : أيها المغرور بالجاه، لو أنك تقنع بالعُشب وتستحسنه مثلى، فأنىَّ لك أنْ تجعل الجسد الحرَّ عبدًا ؟ النفسُ التى تقنع بمثل هذا القليل لا حيلةَ للمَلك معها. ماذا سأفعل بمتاع الدنيا وأنا جدٌّ حائرٌ وبلا سكينة ؛ فهذا رزقى من الآن حتى الموت وكل ما أريده أكثر منه يكون أمامى، ماذا سأفعل بالذهب إنْ لم أكنْ قارون ؟ كم سأدور إن لم أكنْ الفلك؟ هذا هو رزق عمرى وأنا أجلس سعيدًا به، أقضى بقية عمرى فى سعادة وهناء.

العمر يمضى فى أيام معدودة ، يمضى بحلوه ومرِّه، مادام العمرُ يمضى هكذا فماذا يبقى منه فى اليد سوى الريح ؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٩ - الحكاية والتمثيل (ص ٥٣ - ٥٥)

هَبَّ أحدُ السائلين واقفا بين الناس وقال : لماذا يُعدُّ "الحسنُ البصرى" فى البصرة عظيما؟ قيل له : لأنّ الخلقَ اليوم فى حاجة إلى علمه فى الحقيقة وفى المجاز وهو ليس فى حاجة لأحد وإنْ قلَّتْ ، فأنىَّ له أن يكون أسيرَ فضل لأحد فى الدنيا . لقد استغنى فى زاده ورزقه عن الجميع بينما الخلقُ يحتاجونه حتى الممات. وهذه هى العظمة فى كلا العالمين ، فلا جرم أن جاء عظيما فى هذا الزمان.

ياقلبُ، اجعلْ من الدَّم خمرةً ومن الروح كأسًا، وأعط الخلقَ بضع حبّات وهيئْ لهم عدداً من الشراك . حينما يكون لكَ الخبزُ والناس فتكون كلُّ شعرة لك سلطانا . فكلُّ من يأكل خبزه من يد الخنازير ليس ثمة شك فى أنه يشرب دماء الروح. حتامَ ترافق الكلاب على المائدة ؟ حتامَ تجعل الشمسَ ذرَّةً؟ دعْ كالرجال هؤلاء الأخسَّاء وانصهرْ مثل الفراشة فى الشمع. لو تحذر آلامَ القولون من هؤلاء القوم ، فأنىَّ لك الدرايةُ بما لديهم من إمْساك ؟ اجعل من نفسك فراشةً ولا تسلْ عن الجناح ، انثرْ الروحَ وضحِ بالجسد ولا تسلْ ثانيةً. حينما يرى الأسدُ ناراً لا يظفر بالفريسة، فيكون الأسدُ فراشةَ والفراشةُ أسداً. لا تُقْدمُ فى الشجاعة دفعةً واحدة ، فإلامَ هذا الإنعامُ العام من الإنعام؟ صرْ متديناً ومحرم الأسرار ، ولا تكترثْ بخيال الفلاسفة . ليس هناك مَنْ هو أبعد عن شريعة النبى من الفيلسوف . الشرعُ تنفيذُ أوامر

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

الرسول ووضع التراب على رأس الفلسفة . واعلمْ أنّ الفلسفة شريعةُ " زرادشت" وانها مضادةٌ للشرع . الفلسفةُ يكفيها العقلُ الكلى ، ويكفى لعقلنا أَمْرُ " قُلْ"[١٦٣] . فى الحقيقة يضيع فى هيبة أمر واحد من "قُلْ" مائة عالم من العقل الكلى . إذا لم يعط هذا الأمرُ الحياةَ للعقل كيف تتسنى العبوديةُ للعقل؟ جاء مرشدُ عقلَك ضعيفا من ذلك لأنه جاء إليك بنفسه محررا. أمحُ بهذا الأمر عينَ عقلك حتى لا تمحو الخمرُ عينَ عقلك . إذا كان العقلُ يغيب بتأثير الخمر، فأنَّى له أنْ يصير بصيراً بسرّ أمر "قُلْ" . يجب للعقل "قُلْ" وهى أمر الله حتى يصير مرشداً ودليلا . يبقى لك العقلُ سواء أكان جزءًا أم كُلاّ ، وعندما تُلقى بعين عقلك تبقى لك "قُلْ" . وحينما تسقط حقًا عينُ عقلك من "قُلْ" فإنْ حادَ العقلُ عنها فهذا خطأ . يمضى علم العقل بالأمر لا بالعقل ويمضى وحيداً حائراً. لا تقرأ العلمَ إلا إحياءً للحقّ ، ولا تعدّ نجاتك فى قراءة " الشفاء"[١٦٤] . علوم الدين الفقه والتفسير والحديث ويخبث كلُّ مَنْ يقرأ غير هذا. رجل الدين هو الصوفى والمقرئ والفقيه، وإذا لم تقرأ هذا فأنا أدعوك بالسفيه . هذه العلوم الثلاثة الطاهرة هى لبُّ النجاة، هى حسنُ الأخلاق وتبديل الصفات،

(١٦٣) "العطار" يقصد بـ "قُلْ" هنا قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص آية ١]
ويقال إن العقيدة الإسلامية تكمن كلها فى جملة " قل هو الله أحد" .

(١٦٤) المقصود كتاب " الشفاء " للفيلسوف أبى على بن سينا.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هذه العلومُ الثلاثة هى الأصـــل وهى المَنْبَعُ، فكـــلُّ مَنْ يتـجاوزها فهو " لا ينفع "[١٦٥] منها .

هذا الكلامُ حـقـا لا يكون على سـبيـل التهـديد ، فـهـو ينبع من البصـيرة وليس تقليدًا ، وأنا فى هذا قـد حملتُ شَمَّـةً لكل علم ، وقد حـملتُ خرقـةً باليـة أمام كلِّ لون. وحـينمـا علمتُ أنَّ الدين هو هذا وكفى فلا جـرم أنَّ هذا هو عينُ اليقين وكـفى . وتركتُ كلَّ هذا حتى احترقوا ، طالمـا نسجوا قلنسـوتى من هذا الذى تركته . أخذتْ السماءُ لونَ المغفـر ثانية وتبـدَّلتْ زرقتهـا بلون هذا المغفر . هذه الـقلنسوة بلا رءوس يا بنى ، فلو أعطوه إياك فلا تتفاخرْ يا بنى . لو لبستَ تاجَ الفقر فـاقطعْ الرأسَ ، اقطعْه عنك وعن الـعالمين كليـهمـا عن بعض . أدركْ هذا القول لأنه يأتى بالطامـات ، ويأتيك بالترهات المـليئـة بالخرافات . كيف يكون للخفاش تلك القوة ؟ كيف يرى الشمس واضحة جليَّة ؟ اخسرْ العقلَ فى الشرع وتطهـر ثانية ، ثم صرْ فى شوق الحق بعد ذلك بلا مجاز . طالمـــا يظهر مثل العقـــل والشـرع والشوق ، فذلك الذى تطلبه يظهر بالذوق.

سوف يقابلك أربعون مقامًـا كلهم فيك، إذا قمتَ بهذه الأربعينية فى طريقك فستصل إلى الحقيـقة . عندما تطلب نفـسك فى الأربعين مقامًا ، تكون الكلَّ فى النهاية والسلام .

(١٦٥) إشارة إلى حديث الرسول : " أعوذ بالله من دعاء لا يسمع وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع " . صحيح مسلم ٣٠٧/ ٥ ٢٤٩

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

المؤلف فى سطور :

الشيخ فريد الدين أبو حامد محمد بن أبى بكر وعُرف «بالعطار»

نسبة إلى مهنة « العطارة » التى ورثها عن أبيه ، وهى عبارة عن «أجزاخانة» يعالج فيها المرضى كما يقول بنفسه ، ثم تركها فجأة وانشغل بالتصوف وقرض الشعر الصوفى حتى صار أحد أساتذة هذا النوع من الشعر . ومن أشهر مؤلفاته الصوفية : ديوان من الشعر ، وعدد من المنظومات الشعرية المشهورة مثل : منطق الطير ، مصيبت نامه ، الهى نامه ، خسرو نامه ، اسرار نامه ، إضافة إلى عمله النثرى الكبير «تذكرة الأولياء» .

وُلد العطار فى نيسابور عام ٥٤٠ هـ وقُتل - حسب ترجيحنا - فيها على أيدى المغول عام ٦١٨ هـ .

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com